روايات
ALHAN
ألحان

لعبة الحظ

١١٣

www.liilas.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

www.liilas.com

ولأول مرة منذ قرن من الزمان تسبب الحقد في حادثة وفاة ، لكن .. كان من الواضح أن هذه الحادثة المأسوية قد وضعت نهاية أبدية لتلك الحرب وكان اللقاء بينهما ..

وعانقها بحرارة وهما يتأملان هذه الحادثة التي لا تنسى والتي سطرت لهما سعادة غير مسبوقة .

مقدمة

شهد فردوس إحدى الجزر غرس الوداد يزدهر في قلبين شابين ويغذي عبيره عروقهما . ما لبثا أن عادا إلى الوطن ... إلى الواقع... ساحة التطاحن بين الأسرتين العريقتين منذ قديم الزمان.

لكن ... وعلى النقيض مما قدره شيكسبير لبطليه الشابين روميو وچوليت ولد هذا الحب ليحيا ... وليحيي ...

زخرت هذه الرواية أيضا بما يرقى إلى بصمات مشاهير روائيي المغامرات. إضافة إلى الأحداث المشوقة الأخرى.

شخصيات الرواية

- "إيان ستوارت" : مهندس شاب - بطل الرواية .
- "براندون ستوارت" : رجل أعمال - والده .
- "ميشيل لوجان : باحثة - بطلة الرواية .
- "شارل لوجان : رجل أعمال - والدها .
- "چوناثان لوجان" : مهندس شاب - شقيقها .
- "چاكي فلين" : صديقة البطلة .
- "نيكولاس سولتر" : صديق "چاكي" .
- "ستيف أشتون" : زميل للبطلة بفرع آخر من الشركة .
- "هيلين جوردون" : صديقة سابقة لكل من : "براندون ستوارت" و"شارل لوجان" .

www.liilas.com

الغلاف الأمامي

لم يتوصل أحد إلى معرفة أساس ذلك العداء القديم القائم على مدى بضعة أجيال بين عائلتي "لوجان" و"ستوارت" وبدلا من أن تضع هجرة هاتين العائلتين إلى أمريكا نهاية للكراهية بينهما عملت على إذكاء نيران ذلك الحقد الأزلي . لم يكن شباب الجيل المعني قد بدءوا يكنون لأقرانهم مشاعر الظلم والضيم فامكنهم السمو بمشاعرهم عن أحقاد من يكبرونهم .

بدافع من روح المنافسة البحتة امتلكت كل من عائلتي "لوجان" "وستوارت" مساكن متطابقة وشركات متماثلة ، ثم وقع الحب بين "إيان ستوارت" ، "ميشيل لوجان" . ما الذي كان من أمر هذا الحب؟ هل تطور ونما؟ هل أفلح الحب أن يبدد العداوة بين الأسرتين ؟ أم كان الأمر على خلاف ذلك ؟ هذا ما ستعرفه - معنا - أيها القارئ الكريم بمتابعة القراءة لهذه الرواية .

الفصل الأول

تامل "شارل لوجان" بعينين رماديتين تنطقان بالحقد وجه نجله .

- واضح انه لا يمكننا إثبات أي شيء ؟

- لا شيء يمكن إثباته يا أبي . كان المفتش من المكر بحيث لم يودع المبلغ بحسابه ، ويرفض المخبر التصريح بما يعرفه .

- لكنه واثق بان ذلك كان من عائلة "ستوارت" .

تلقى "جوناثان" ذلك السؤال بابتسامة ساخرة :

- إنه أمر بديهي ! تسلم المفتش مبلغا من المال لقاء تاخير موافقته على تركيباتنا الكهربائية إلى أقصى حد ممكن بهدف السماح لعائلة "ستوارت" بان تتقدمنا وإذا لم نهتد إلى وسيلة لتهدئة لإعاقة ، إنشاءاته فلن تكون لنا أية فرصة .

التفت الوالد نحو نافذة مكتبه ؛ ليتامل من خلالها مشروعه الأخير الذي ارتفع عن بعد نحو السماء .

بدت ناطحة السحاب من الخارج تامة الإنشاء لكن ما لم يسجل

www.liilas.com

المفتش موافقته على التركيبات الكهربائية فلن يمكن إنجاز اللمسات الأخيرة بها .

– ماذا نفعل يا أبي؟ إذا وضع "ستوارت" الحجر الأخير قبلنا فسوف يتمكن من الفوز بعقد "تكترون" وقوامه بضعة ملايين من الدولارات . وسوف يكتسب شهرة في كل "أتلانتا" على حسابنا .

أجابه "شارل لوجان" بصوت هادئ تماما :

– لن يمكنه أن يضربنا فيما يتعلق بسرعة الإنجاز . أؤكد لك ذلك وسوف نبذل كل ما بوسعنا لمنعه من ذلك .

###

جلس "براندون ستوارت" يصغي باهتمام إلى تقرير مدير أعماله قبل أن يساله :

– يا إلهي! يا "بيتر" ما الذي حدث ؟ نعمل مع هؤلاء الموردين منذ سنوات .

رفع مدير الأعمال كتفيه معبرا عن عجزه قائلا :

– لا أعلم يا سيدي . ذلك القدر من المواد الذي طلبناه غير سليم بمخازنهم أما الرسالة التي تسلمناها فهي غير مطابقة لمواصفاتنا. كل ذلك يدعو إلى الشك في أن ...

– "لوجان" !

قال "براندون ستوارت" ذلك وهو يبصق احتقارا .

أجابه مدير أعماله :

– لا أرى كيف يا سيدي: على الأقل ... جميع الموردين الذين نرى منهم مضايقات هم موردوهم أيضا . ربما إنهم يوفون بطلباتهم قبل طلباتنا.

قال "براندون ستوارت" مؤكدا بنبرة قاطعة :

– ينبغي أن نضع نهاية لذلك . ولا أبالي كم يكلفني ذلك ... لن أسمح لذلك الوغد بأن يخدعني .

الفصل الثاني

www.liilas.com

– أبحاجة أنت إلى أية مساعدة ؟

ما إن رفعت "ميشيل لوجان" رأسها حتى ارتسم التخوف واضحا على محياها . أما هو فسكن تماما عندما تعرف على شخصها كما لو كان في مواجهة جدار ما . لكنهما لم يظلا على حالة التجمد هذه طويلا؛ لأن حركة أنيقة بيد الفتاة أشارت إلى البخار المنبعث من تحت غطاء حقيبة محرك السيارة المنتظرة بجوار حافة الطريق. بينما قالت الفتاة:

– لقد أسلمت الروح .

أجابها بنبرة ودية دليلا على أن قدرة آل "ستوارت" على التغلب على روح العداء تفوق قدرة آل "لوجان" خاصة وأن ميدان القتال بين العائلتين كان على بعد لا يقل عن ثلاثة آلاف كيلو متر منهما:

– سوف ألقي عليها نظرة .

بينما انحنى "إيان ستوارت" فوق حقيبة محرك السيارة رمقته "ميشيل" بنظرات القلق وهما في ذلك الطريق المهجور الذي تحف به

أشجار الجوز الهندي. كما لو كانت تخشى مفاجاة ما وهي بصحبة شاب من آل "ستوارت".

لم يفته ملاحظة موقفها المضحك هذا . ومع ذلك التمس لها عذرا في أن والدها الذي كان أحرى به أن يكون أكثر تعقلا .. ما إن يفاجا بها بصحبة "إيان" حتى يحرمها من الميراث أو يهددها بذلك على الاقل .

لكن "شارل لوجان" في "اتلانتا" على مسافة آلاف الأميال من هذا الطريق المشمس بجزيرة "مارتينيك" والذي يمتد إلى حصن فرنسا ... بما لا يدع مجالا لأية احتمالات أن يرى أحد من المعنيين بالمشكلة أن ممثلين لطرفي النزاع العائلي - القائم على مدى بضعة أجيال متعاقبة - قد التقيا في هذه البقعة بطريق المصادفة .

تاملت "ميشيل" عدوها باكبر قدر من الموضوعية . خلبها جمال طلعته الذي ينم عن ممارسة منتظمة لأحدث أنواع الرياضة البدنية بطول قامته وقوامه الرياضي .

إذ كان من ذلك النوع من الرجال الذي ما يلبث أن يلفت أنظار الجنس الآخر .

ارتدى بنطلونا من "الچينز" مع قميص أبيض . و"ميشيل" التي عادة لا تحس سوى جاذبية طفيفة نحو ذوي الشعر الأشقر وجدت نفسها عاجزة عن أن تحول بصرها عن خصلات الشعر المتموجة الشقراء التي زينت مقدمة رأسه مظللة عينين زرقاوين كادا أن يتسما بالشفافية .

كان تعارف "ميشيل" و"إيان ستوارت" من نوع خاص جدا. إذ امتلكت كل من أسرتيهما مسكنا فاخرا وشركة إنشاءات راسخة الأركان في "اتلانتا" . كما أن "چوناثان" شقيق "ميشيل" في مثل عمر "إيان".

ومن هذا المنطلق اشترك ثلاثتهم في مباريات رياضية وفي مسابقات للفروسية ، كما اشترك الشابان في مباريات كرة القدم التي كانت تقام بين الجامعات .

تبلغ "ميشيل" من العمر ستة وعشرين عاما ، و"إيان" واحدا وثلاثين . وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقيان فيها على انفراد وهما بالغان.

ظلت الفتاة طوال حياتها تسمع الكثير مما يشين آل "ستوارت" بصفة عامة وجيرانهم المنتمين إلى هذه العائلة على وجه الخصوص . وكانت هي تضيف ذرتها من الملح في الكثير من المناسبات . كان باستطاعتها أن تعد قائمة كبيرة تعدد فيها مساوئ هذه العائلة ومنها ما يرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر، ومع ذلك لم تر سببا واحدا لإدانة "إيان" أو الإعراض عنه ؛ إذ رأت أن ذلك يتعارض مع الحس السليم .

خاطبها قائلا :

- يؤسفني أنه لن يمكنني إصلاح محرك سيارتك . يتطلب الأمر استدعاء ميكانيكي لفحصه . أنا في طريقي الآن إلى قلعة فرنسا ، وعلى استعداد لأن أرسل إليك فنيا للعناية بالسيارة إذا رغبت أو..

وأضاف بعد لحظة تفكير :

- أرى أنه من الأفضل أن أصطحبك معي إلى هناك .

توترت أعصاب "ميشيل" عندما سمعت ذلك وتمنت لو أن الأرض انشقت أمام هذا الإفك وابتلعتهما معا ... لكن ما لبث عقلها أن تولى عنها القيادة ، ومع ذلك لم يخل الموقف من الإحساس بوخز الضمير .

قالت :

- أشكرك على كرم معاملتك . سأطلب من الفندق أن يتولى عملية الإصلاح .

- في أي فندق تنزلين ؟

- في الأركاديا .

- وأنا أيضا أنزل فيه .

انخرطت "ميشيل" - وهي في سيارة "إيان" - في تفكير عميق سعيا وراء الاقتناع بأن قبولها عرض "إيان" لا يعتبر خيانة للأسرة وإنما هو راجع إلى رجاحة عقلها ؛ إذ إنه ليس ثمة مسوغ لأن ترفض مساعدة رجل لم يقدم لها أدنى إساءة من قبل .

قالت :

- من دواعي حسن طالعي أنك مررت بي الآن ! كان من المحتمل أن

www.liilas.com

أظل على قارعة الطريق اليوم كله .

- ساورني الشك لحظة في أنك ستقبلين دعوتي .

- كان من المحتمل أن أرفضها لو كنا في "أتلانتا" . لكن ... والتفتت تمسح بنظراتها المناظر الطبيعية للريف الاستوائي الذي يضارع الفردوس ببهائه والذي ترامت أطرافه على جانبي الطريق. رمقها "إيان" بنظرة جانبية خاطفة ؛ فقد انقضت سنوات وسنوات منذ أن التقى بها آخر مرة في مثل هذا القرب . لايزال يذكرها . كان ذلك يوم الاستعداد لمباراة في الفروسية حين سقطت من فوق صهوة جوادها ، ورفضت اليد التي بسطها نحوها حتى يساعدها على النهوض . من قبيل الشكر المقنع عاملته بأسلوب غاية في الرقة متوجة ذلك بفوز في السباق .

لقد تغير بعض الشيء . اختفت النحافة الشديدة التي ميزت ساقيه منذ عشر سنوات عندما التصق بنطلونه الچينز بفخذيه ، وضم قميصه الأزرق آنذاك كل عضلة في صدره الرشيق الذي طالما ضربت الأمثال بمدى جاذبيته وأكد ذلك الشريط محكم الربط - الذي أبعد به شعره الطويل عن وجهه الساحر - رقة عظمتي وجنتيه .

أحست برقته وسمو أخلاقه .

سألها :

- وماذا تفعلين في هذه البقعة الخلابة ؟

أجابته بصوت متهدج قليلا :

- أقضي عطلة . لا يمكنني تحمل مناخ نوفمبر المطير في "أتلانتا" . لهذا السبب رتبت للسفر مع صديقة لي ، لكن حالة العمل لديها حالت دون سفرها معي وبذلك لن تصل إلى هنا قبل بضعة أيام . وأنت ؟

- جئت لقضاء بعض المصالح :

- أنت مهندس . ألست كذلك ؟

- بلى . مثل أخيك . لا أعلم رأي والدك في اختيار "چوناثان" لهذا التخصص . لكن والدي لايزال مقتنعا بفكرة أنني أهل لمتابعة الخطط لا لتنفيذها ، ولا يريدني أن أسير على نهج خطاه . وجميعنا متمسك برأي

والدي على طول الخط .

- كاد والدي أن يصعق عندما علم برغبة "چوناثان" في أن يصبح مهندسا . أبي رجل صارم كما تعلم ، لكنهما توصلا - فيما بينهما - إلى حل وسط مقنع ؛ لأن باختيار "چوناثان" هذا المجال تتاح له فرصة التعاون مع والدي في العمل .

- وما رأي والدك في مجال تخصصك ؟

- سيئ للغاية ! لم يتمكن حتى الآن اعتياد فكرة أن ابنته الصغيرة قد أصبحت باحثة معتمدة .

- لماذا لم تلتحقي بالعمل بشركة الأسرة ؟

فكرت "ميشيل" قليلا وهي تنظر أمامها بلا هدف :

- كان العمل بشركتنا هدفي الأول ، لكنني تبينت أنني دائما ما أختلف مع والدي في الرأي بشأن بعض الأمور . فمثلا لست على استعداد لأن أبذل مثل هذه الجهود المضنية في كراهية على هذا... على هذا القدر من القسوة .

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتعرض أحدهما فيها إلى الحديث عن العداء القائم بين عائلتيهما . وإذ لقي رأى "ميشيل" استحسانا من نفس "إيان" اشتدت رغبته في مواصلة الحديث معها فيه . لكنهما كانا قد وصلا إلى الفندق .

تقدم أحد الحراس منهما للعناية بسيارة "إيان" فتوجها معا إلى رواق الفندق في صمت تام . وقد هال كلا منهما إحساس داخلي بنوع من الألم لفكرة افتراقهما .

بادرها "إيان" بقوله بعد ما استقلا المصعد :

- ما رأيك في أن نتعشى الليلة معا ؟

تسمرت "ميشيل" في مكانها ، فقد ترامت إلى مسامعها على مر الأيام عبارات فحواها أن لا شيء في الوجود أسوأ من علاقة بأحد من أفراد ال "ستوارت" ... وهذا الرجل هو الوحيد الذي تحبه وتقدره دون جميع رجال العالم . لكنها أيضا تحب أباها الذي يتمسك برأيه هذا بكل قواه.

www.liilas.com

ومن ناحية أخرى فإن رفض منطقها احترام نظرية والدها هذه والالتزام بها لا يعني محوها من ذهنها تماما .

فتح باب المصعد عند الطابق الثالث حيث تقع الحجرة التي تنزل الفتاة فيها وعندئذ ضغط "إيان" على أحد الأزرار وهو الذي يجعل باب المصعد يظل مفتوحا وقال مخاطبا إياها :

- مطعم الفندق متميز للغاية .

أحست "ميشيل" بارتياح شديد مفاجئ إزاء فكرة دعوته إياها إلى العشاء لم يكن مرجعه تغاضيه عن ميراث العداوة القديمة التي يرجع تاريخها إلى خمسة قرون مضت ، بل كونها فتاة تتحلى بالحس السليم والأفكار النقية فضلا عن أنها أهل لأن تقرر بنفسها ما إذا كانت هناك عداوة حقيقية وأن تختار بنفسها الرجل الذي يناسبها . وارتأت - بناء على ذلك - أن هذا الرجل وعائلته ما قدما إليها أدنى الأسباب التي من شانها أن تبرز كراهية لهما .

- "ميشيل" ؟

كانت هذه هي المرة الأولى التي ينطق فيها باسمها الذي غادر شفتيه متسما بمذاق جديد خاص . حثها التحدي الذي قرأته في عينيه - في تلك اللحظة - على اتخاذ قرارها .

قالت معلنة بصوت مفتقر إلى الحماس :

- اتفقنا .

- عظيم ! أنتظرك في السابعة بالرواق .

ما إن أغلقت "ميشيل" باب حجرتها من خلفها حتى انفجرت ضاحكة على نحو هستيري وقد ارتعدت أوصالها .

استلقت فوق فراشها بغية استعادة بعض توازنها . لكن ما لبثت أن سمعت رنين الهاتف :

- "ميشيل" ؟ لقد بدءوا من جديد .

هكذا قال شقيقها دون مقدمات .

لم تكن بحاجة إلى أن تساله عمن يعني ؛ لأن "چوناثان" كان مصمما -

على الدوام - على أن يحطيها علما - وأولا باول - باخطاء آل "ستوارت" وآثامهم . سالته :

- ما الذي حدث ؟

ولم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في أنه إذا علم "چوناثان" بان "إيان ستوارت" ينزل في ذات الفندق الذي تقيم فيه حاليا فلن يتورع عن أن يصر على عودتها إلى "أتلانتا" على الفور . - اشتروا المفتشين .

تحول صوت "چوناثان" المرح عادة إلى صوت أجش ينطق بالانفعال كما يحدث في كل مرة يرد فيها ذكر آل "ستوارت" على لسانه .

استطرد قائلا :

- وهذا ما يعني أن عمالنا يتعين عليهم انتظار إشارة الضوء الأخضر عن التركيبات الكهربائية وأعمال السباكة و...

- "چوناثان" كيف حدث أن اعتقدت أنهم قد اشتروا موظفين مسؤولين؟

- من خلال زجاجات المشروبات وما يجري من أسفل المناضد . تعلمين جيدا هذه الأمور .

- هل لديك أية أدلة على ذلك ؟

- إلام تلمحين يا "ميشيل" ؟ تعلمين أن آل "ستوارت" ليسوا على هذا القدر من السذاجة .

تنهدت الفتاة مستندة إلى حافة الفراش . هذا الشقيق الذي تكن له حبا جما... مثل والده تماما ... أعماه حقده على آل "ستوارت" .

قالت :

- أسفة يا "چوناثان" . أرى أن هذا الاتهام إنما هو نابع من عمق كراهيتك لهؤلاء الناس .

أجابها "چوناثان" بزمجرة اعتراض قبل أن يسالها :

- و"چاكي" ؟ كيف حالها ؟

- لن تصل قبل بضعة أيام . حدث في آخر لحظة أن كان هناك سبق صحفي عاجل تعين عليها الاضطلاع به .

www.liilas.com

- وماذا أنت فاعلة ؟

كادت "ميشيل" تكبح ضحكة ألحت عليها :

- اسمعني يا "چوناثان" . إنني فتاة ناضجة قادرة - منذ زمن بعيد - على الاستمتاع بوقتي بمفردي على مدى أيام عديدة .

- أنصحك بالحكمة . الفتيات الناضجات أولى بتوخي الحذر من الصغيرات خاصة وانك بعيدة الآن عن البيت والأهل .

- لا تقلق . وارجوك أن تعدني بالا تقترف بالاشتراك مع والدي عملا انتقاميا على فعلة تصورتما أن آل "ستوارت" قد ارتكبوها .

- تصورنا ؟ هل هذا كل رأيك ؟ من المؤكد أن والدي سوف يتصل بك هاتفيا في الغد يا "ميشيل" . وحتى ذلك الحين عليك أن تحذري أولئك السمر الوضعاء ! إلى اللقاء يا "ميشيل" .

أعادت "ميشيل" سماعة الهاتف إلى موضعها وقد اعتراها اضطراب شديد . لم تحس بالذنب أن اخفت عن "چوناثان" وجود "إيان" . طالما كان شقيقها هذا كاتم أسرارها منذ وفاة والدتهما . لكن فكرة تناول العشاء مع "إيان" ولدت فيها اضطرابا مشوبا بوخز الضمير . ألقت نظرة على ساعة يدها كانت الخامسة .

بقيت ساعتان على الموعد المرتقب . سوف تجلس إلى مائدة عشاء مع عدو والدها وشقيقها تشاركه وجبة بدعوة منه وهو ما يكفي لإيجاد صدع لا يراب في علاقتها بافراد أسرتها . لو أنهما علما بما سوف يكون ...

وجدت "إيان" ينتظرها بالرواق لدى مغادرتها المصعد . توجهت إليه بخطى واثقة وقد غمرها إحساس بانها قد هدمت قلاعها .

اختارت أن ترتدي لهذه المناسبة ثوبا طويلا أنيقا باللون الأزرق القاتم مقفلا بإحكام حول الرقبة تاركا الذراعين والظهر عاريين تماما .

أحست بالاطمئنان أن رات نظرات الاستحسان تستحوذ على عينيه البراقتين . أما هو فارتدى بنطلونا أسود مع قميص أبيض مفتوح من تحت سويتر باللون البني الفاتح من قبيل توخي الاعتدال .

قال هامسا :

- خشيت ألا تاتي .

فاجابته بصدق :

- لم تخطئ تماما .

- ما الذي حملك إذن على الوفاء بوعدك واحترام موعدك معي ؟

- في تصوري انه تصرف أتحدى به العالم من حولي . أحب أن أكوّن بنفسي الرأي في الأمور وفي الأشخاص .

رمقها "إيان" بابتسامة تصاحبها نظرة فاحصة :

- ومن المعلوم أن الأمر الذي لن يعلم أحد عنه شيئا لن يكون ذا أثر عليك ...

- هذا صحيح . لكن كان بوسعك أن تستاجر مصورا يسجل لحظات لقائنا وتبعث بالصور إلى والدي ...

وبينما توردت وجنتاها خجلا، بهت "إيان" إزاء سلامة تفكيرها قبض على ذراعها مصطحبا إياها إلى حجرة الطعام وهو يقول :

- لكنني لم أفعل شيئا كهذا .

- أعتذر . لا أدري ما الذي دفعني إلى أن أقول ذلك .

- إنهم علموك الارتياب في دوافع جميع أفراد آل "ستوارت" .

- وهل تحترمون أنتم أفراد عائلتنا ؟

- نعم .

رفعت "ميشيل" راسها نحوه فرات أن قامتها تبلغ كتفه بالتمام . سالته :

- لماذا ؟

جاء استفسارها فضولا أن تعرف: ما إذا كانوا قد لقنوا ذات نوعية التعليم أم أن ذويهم قد اكتفوا بعزلهم عن عائلتها ؟

انتظر "إيان" حتى استقرا إلى مائدة بركن هادئ زينتها نبتة من السحلب الأحمر الخلاب ثم أجابها :

- لانني افترض فيك الصدق يا "ميشيل" . إذا ما رأيت محاربتي

www.liilas.com

فسوف تفعلين ذلك علنا .

- ذهبت جميع محاولاتي أدراج الرياح ؟

- نعم . وأود أن تفترضي في ذات الصفة .

ترددت لحظة لكنها لم تستطع أن تدحض ما قال :

- أود ذلك من كل قلبي ... بل إن المنطق ذاته يدفعني إليه .

قال متمتما :

- لكن ...

- لكنني فكرت في ذلك مليا وأنا في حجرتي . هل تعتقد أنه بعد خمسة قرون من الزمان تتحول عدم الثقة إلى نوع من الصفات الوراثية؟

- أمل من صميم فؤادي ألا يكون الوضع قد تطور إلى ذلك !

- وهذا أملي أيضا .

ثم استطردت تقول ممسكة بقائمة الطعام :

- إنني جائعة جدا . لم أتناول طعام غداء اقتصادا للوقت حتى أتمكن من إتمام جولتي بالجزيرة .

أضفت الإضاءة الخافتة عليه ضربا من الانتشاء أكده موقفه منها المتحير تارة والمتحفظ تارة أخرى . ومع كل ذلك لم يكف عن النظر إليها لحظة واحدة . لم يصدق أنه جالس إلى مائدة واحدة مع "ميشيل لوجان" التي طالما خلبت لبه إلى حد لم يمكنه إخفاؤه عن والده . نظرة عينيها الرماديتين ووجهها الرقيق كان لهما فعل المغناطيس القوي عليه . ومنذ لحظة الإمساك بذراعها بالرواق تمنى لو أنه يستطيع أن يمد يدا إلى بشرة ظهرها الذهبية الحريرية يتلمس نعومتها ويستمتع بسحر عطرها الأنيق المثير . منذ لحظة التقائه الأولى بعينيها الساحرتين انتابته دهشة شديدة لم يفقه لها معنى محددا وإن علم بغريزته أن شيئا ما - يستحيل تجاهله - قد بدأ يعتمل بداخله .

قالت وقد توردت وجنتاها قليلا :

- أرى أن آخذ دجاجا . وأنت ؟

تنبه "إيان" إلى أنها ربما تكون قد تضايقت من ثبات نظرته عليها .

قال دون أن يدري ما الذي اقترحته؟

- وأنا أيضا .

شابكت "ميشيل" يديها فوق قائمة الطعام قائلة :

- لا أنا ولا أنت يمكننا أن ننسى كل تلك الشكوك فهي موجودة بغض النظر عما إذا كانت موروثة أو كانت منبعثة من داخل نفوسنا.

- لا أرى سببا واحدا يبرر كراهيتي نحوك يا "ميشيل" : ولا أرى مثل هذا السبب لديك أيضا .

- أعلم . لكن عدم توفر الكراهية شيء ورباط الصداقة شيء آخر حتى لو تولد فينا الإحساس بالرغبة لأن هذا الأمر خاص بنا .

سألها وهو ينحني نحوها :

- لماذا ؟

كان بحاجة إلى أن يقرأ ما تقوله عيناها حتى يتعرف على مشاعرها وأحاسيسها خاصة أنه أراد أن يقنعها بأمر بدا له جليا.

- إننا بمفردنا في هذا المكان يا "ميشيل" لا يراقبنا أحد . لا والد ولا شقيق ... الجميع هنا سوف يسخرون منا لو أنهم علموا أننا في عداد الأعداء ، لأنهم جميعا يرون أننا لابد أن نكون صديقين أو ... عاشقين .

سرت في جسدها قشعريرة لم تألفها من قبل عندما سمعت هذه الكلمة الأخيرة التي نطقها "إيان" بصوت أجش مفعم بالأحاسيس . تجاهلتها "ميشيل" لكنها لم تجرؤ على لقاء نظرته خشية مما عساها أن تقرأه في عينيه . تقلصت معدتها وثقلت أنفاسها .

- "ميشيل" ؟

أجابته بصوت خافت دون أن تنظر إلى وجهه :

- عندما كنت طفلة صغيرة كنت أجهل أن "ستوارت" هو اسم لإنسان : لأنني علمت بما لا يدع مجالا للشك- من أسلوب نطق والدي لهذه الكلمة - أن "ستوارت" يعني شيئا بشعا .

وضع "إيان" يده فوق يديها :

www.liilas.com

- وكنت أنا حتى سن السابعة أعتقد أن "لوجان" سبة. لكنني لم أكن قد بلغت السابعة كما لم تكوني سوى طفلة صغيرة . كل هذا بدا معنا وكبر ؛ لهذا كان من الطبيعي أن نعتنق عشوائيا تقاليد عائلية لازمتنا على مدى ثمانية أجيال .

تاملت "ميشيل" اليد الدافئة الباعثة على الاطمئنان التي احتوت يديها وأنست في نفسها القدرة على النظر إلى وجهه .

قالت بنبرة متواضعة :

- لا أرى أنني ساكون الرائدة المقنعة في هذا التحول المنشود هناك الكثير مما قد أتعرض لخسارته بل سوف أفقده بالتاكيد... كان حب والدها وحب شقيقها لها ما تعنيه .

شدت يد "إيان" على يديها ثم أرخت قبضتها . قال :

- حسن جدا . إنه إذن شيء آخر غير الكراهية . يمكننا الآن على الأقل أن نتناول عشاءنا في هدوء . لن تعلم أي من أسرتينا بامر وجودنا على ذات الجزيرة .

أمرا بما يطلبانه من طعام . وللمرة الأولى في حياتها على الإطلاق عرفت "ميشيل" مذاق الإحباط الحقيقي . لو توفر لديها الاقتناع بالأسباب التي تؤدي إلى توطيد السلام لاستطاعت بمعاونة "إيان" وضع نهاية لهذه المشاحنة الشرسة القائمة بين العائلتين ولخاطرت بخوض التجربة لكنها تعرف اباها وأخاها حق المعرفة وبما تنتفي معه كل احتمالات قيام مثل هذا السلام .

قال "إيان" مخاطبا إياها بنبرة حانية :

- لا تيئسي ربما بانتهاء جولتنا يكون الوضع قد تغير إلى الأفضل.

أجابته :

- لا أعتقد ذلك . ربما لا تحمل لنا ضغينة لكن "چوناثان" مفعم بالكراهية . وأبي يهجره العقل والحس السليم كلية كلما ذكر آل "ستوارت" . هو الذي حقن شقيقي بكل هذه السموم . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ما من شك في أنه إذا حمل لك إنسان مشاعر الكراهية على

مدى مثل هذه الفترة الطويلة - بما في ذلك من النيات السيئة - فلابد من أنك ستضطر بمرور الوقت إلى أن تقابل مشاعره بمثلها مهما كنت حسن النيات .

قطب "إيان" حاجبيه :

- يقولون : إن والدك أكثر مرارة من والدي . تعلمين لماذا ؟

هزت رأسها قائلة :

- لا . لكن "چوناثان" يعلم شيئا عن ذلك . عندما كنا صغيرين أفهمني في أحد الأيام أن والدك فعل بوالدي أمرا بشعا منذ زمن بعيد لكنه رفض أن يكشف لي عن ذلك الأمر .

- من المؤكد أنها رواية نسائية .

سالته بضيق :

- ولماذا تقول ذلك ؟

- لأنه لو لم تكن كذلك لأخبرك "چوناثان" بذلك الأمر .

ما ذلك الذي حدث ؟ امرأة مجهولة زادت الوضع سوءا ؟ من المعروف أنه في الصراع بين الرجال من الممكن أن تكون النساء أسلحة أو ضحايا . سرت في جسد "ميشيل" قشعريرة شديدة تبعها غضب عميق . كل ما أوحى به "إيان" هو عقد هدنة ما لكنه لم يتطرق إلى فكرة أن يضمهما فراش واحد .

فراش واحد ...؟

ثقلت أنفاسها وأصابها دوار عابر . مرت بمخيلتها صور عنيفة قاسية ومثيرة بما لا يدع مجالا للشك . احتواها - وللمرة الأولى طوال حياتها - إحساس ملح بانوثتها ومتطلباتها .

- فيم تفكرين ؟

أحست "ميشيل" بأن وجنتيها تتوردان . لن تخبره بتلك الصور المثيرة التي تراود ذهنها . سمعته يحدثها باقتناع مذهل :

- كل ما أرجوه هو أن ناخذ الأمور بقدر أكبر من البساطة ، وألا نشعر - ونحن هنا - إلا باننا موجودان معا . "ميشيل" أتثقين بي ؟

www.liilas.com

- لا أدري ماذا أقول .لكن إذا توفرت لي الشجاعة اللازمة لذلك فسيكون أمني ومصالحي هما الثمن الأكيد .

عندما اقترب النادل ليقدم لهما طلباتهما ظل "إيان" منتظرا معلقا إجابته حتى يصبحا بمفردهما . ورأت هي أن تتحين هذه الفرصة وتسيطر على أعصابها التي هزتها تلك المشاعر المذهلة غير المتوقعة التي لم تعرف طريقها إليها قبل الآن . تناولت من الطعام ما لم تستسغ له مذاقا لانشغالها بما عساه أن يكون .

لماذا يثير هذا اللقاء - المفاجئ بـ"إيان" وهذه الدعوة المتهورة إلى العشاء - كل هذه المشاعر العاصفة بداخلها ؟ وكيف أن "إيان" من بين جميع رجال العالم هو الذي استطاع أن يبعث فيها كل هذه الأحاسيس؟

تفجرت بداخلها ثورة من المشاعر المختلطة المتضاربة . سلام في وجود "إيان" ؟ لا . أصبح هذا مستحيلا من الآن فصاعدا . فالمشاعر التي أثارها بداخلها تتنافى مع السلام والراحة .

- "ميشيل" .

رفعت نحو وجهه الوسيم - الذي أصبح الآن مألوفا إلى حد بعيد - عينين تنطقان بما يعتمل بداخلها فاضرمت فيه أحاسيس فاقت قدرته على الاحتمال . كان قد اكتفى بلمس يديها الذي أسقط بداخله حاجزا كان يحجب شيئا مفزعا . أحست كأنها تختنق. ثم إنها بحاجة إلى أن تبتعد عنه فترة من الزمن تخلد فيها إلى تفكير مترو .

قالت وهي تنهض من فوق مقعدها :

- أستأذنك .

سألها بصوت ينم عن قلق شديد :

- ماذا بك ؟

لم تهتد إلى إجابة ، بل لاذت بالفرار بين نظرات الفضول التي رمقها بها رواد المطعم الذين مرت بموائدهم . سمعته يناديها وكان ذلك حافزا لها على أن تسرع الخطى إلى الخارج .

كان من دواعي مفخرة الفندق أن ألحق به شاطئ خاص ، وكان ذلك

الشاطئ خاليا تماما من الرواد في تلك الساعة المتأخرة من الليل .

تخلصت "ميشيل" من حذائها قبل أن تسلك الطريق المؤدي له، حيث سارت بمحاذاة حوض السباحة الذي تلألأت مياهه تحت أضواء الكشافات الكهربائية المختفية خلف الصخور . تلمست بعد ذلك الطريق المظلم الذي التف حول الأشجار الاستوائية لينتهي عند الشاطئ والامتداد المظلم لمياه البحر التي انعكست فوقها أشعة القمر .

ما إن بلغت "ميشيل" الرمال المبتلة حتى ضاعفت سرعتها. داعبت خصلات الشعر - التي تسللت إلى خارج جديلتها الأنيقة- وجنتيها وأذعنت جونلتها لحركة الريح بينما حدت هي تركض فرارا من لقائه .

www.liilas.com

الفصل الثالث

سمعت صوته ينادي بنبرة قلقة :

- "ميشيل" .

لأنه كان قد تعقبها حتى الحد الشمالي الغربي للشاطئ قبل الحواجز الصخرية البركانية السوداء التي حدته مباشرة . رفعت "ميشيل" في نوبة غضبها يدها تدفعه بعيدا عنها في اللحظة التي نجح في أن يجعلها تستدير حتى تواجهه .

- لماذا تهربين مني يا "ميشيل" ؟

تسارعت دقات قلبها وقبضت راحتها وصاحت :

- اتركني !

أذعن لطلبها لحظة حتى يتمكن من القبض على كتفيها .

- أريد أن أعرف لماذا تجنبتني يا "ميشيل" .

رغم الفضاء الشاسع الذي أحاط بهما راودها إحساس بالاختناق والاحتباس . رأت أنه من الواجب إيقافه عند هذا الحد قبل أن يتسبب

لها في أمر من ذلك النوع الذي يستحيل علاجه ... وقبل فوات الأوان . استبد الغضب بها فاخذت تسدد اللكمات إلى صدره وهي تصيح بعصبية بالغة :

- اتركني ! اتركني وشاني !

سقطت تلك اللكمات مؤلمة فوق صدره بينما أقلقته التعبيرات الشرسة التي نطقت بها عيناها . أسرع تلقائيا يتخذ له مكانا من خلفها حتى يتلافى المزيد من تلك اللكمات وليس لهدف غير ذلك . بدا غضبها يظهر له بجلاء في نبرات صوتها وفي التوتر الشديد الذي ألم بجسدها الرشيق الذي أخذ يقاومه بكل قواه .

لاح له فجاة أنها ربما تكون خائفة منه فاحس كان طعنة قد سددت إلى فؤاده .

- انتظري يا "ميشيل" . اهدئي لن اكون سببا في اي أذى لك .

لم تلتفت إلى ما قال ، بل واصلت لكمها لصدره بعنف أسفر عن ارتطام حقويها بجسده فسكنت على الفور وكانها قد تحولت إلى تمثال من الملح .

داعبت موجة صغيرة أقدامهما في اللحظة التي امتدت فيها يد "إيان" وتتحسس بشرتها الحريرية التي طالما تاق إلى لمسها .

قالت بصوت رقيق وهي تدير رأسها إلى الخلف وتركز على وجهه بحدقتين قاتمتين تعكسان بعض ضوء القمر :

- لا .

واصلت أصابع "إيان" مع ذلك مداعبتها . حدجته بعينين مفتوحتين حتى أقصاهما وشفتين منفرجتين مرتعدتين بينما قالت هامسة :

- أرجوك ألا تفعل بي هذا .

أمعن "إيان" في ضغط يديه على جسدها النحيل جاذبا إياها أقرب إليه .

- الهذا كان فرارك مني ؟ لأنك واثقة بانه لابد أن يكون ؟

- لا . لا يا "إيان" هذه حماقة . اتركني وشاني .

www.liilas.com

قال مرددا :

- كنت تعلمين جيدا . نعم كنت تعلمين .

هزت "ميشيل" راسها تعبيرا عن عجزها عن مقاومته لأن تلك الجاذبية المفاجئة كانت قد سلبتها كل قدرة على الدفاع عن نفسها . كما سبق أن ذهبت محاولتها الفرار منه أدراج الرياح . كانت في قرارة نفسها تعلم أنه لن يمكنها الإفلات من قبضته .

أحست بين ذراعيه براحة شاملة لأنهما احتوتاها وكانهما تنتظرانها منذ قديم الأزل . قالت تعترض للمرة الأخيرة وقد تغيرت نبرات صوتها:

- لا .

أغمضت عينيها عندما بدأ رأس "إيان" ينحني من فوقها ببطء مغو وإذ تلامست شفاههما أحست وكانها على حافة هاوية من اختيارها الشخصي . انتابها شعور بانها قد بدأت تذوب فيه وتندمج معه . طوقت عنقه بذراعيها مرحبة بقبلاته .

تفجرت في كليهما رغبة عنيفة ملحة . ضمها "إيان" بلهفة رافعا إياها من فوق الرمال . ولم تستطع هي احتمال موجات الرغبة الشرسة التي استبدت بها .

لم تكن "ميشيل" حتى ذلك اليوم طرفا في علاقة عاطفية يتجاوز مداها بضع قبلات تكاد أن تفتقر إلى المشاعر الحقيقية والدفء حتى إنها أصبحت أحيانا فريسة لفكرة أنها ربما تكون متبلدة المشاعر أو إنها ذات طبيعة مختلفة عن قريناتها . لكن اليوم وهي بين ذراعي "إيان" انتفت كل تلك الأفكار لأنها أحست برغبة في المزيد مما يمنحها يثيرها بركان داخلي لا يقاوم . وفي قمة الانتشاء رفع "إيان" رأسه عنها ليهمس في أذنها بصوت أجش مفعم بالتوتر والمعاناة الموجعة .

- "ميشيل" ...

أجابته وهي تجذب رأسه إليها من جديد :

- لا تتوقف ...

أذعن "إيان" إلى هذه الدعوة وعاد يمد جسدها النحيل المرحب الذي لم

يتوقف لحظة عن التجاوب مع حركة يديه التي أملتها رغبة جامحة كادت أن تفتك به. فواصل مغازلته إياها مدفوعا بإثارة مبعثها مشهد جسديهما المتعانقين بهذا القدر من الحرارة .

لاح له فجاة إحساس بانها قد تمقته فيما بعد لتحينه فرصة اندماجها معه في هذه اللحظات المحمومة . أملى على نفسه ضبط المشاعر والتحكم في الأحاسيس وبلمسة مهذبة لجسدها دفعها إلى الابتعاد عنه قليلا ليسالها :

- من أنا يا "ميشيل" ؟

رفعت نحوه عينين متسعتين شاردتي النظرات :

- "إيان" . أنت "إيان" .

- "إيان" من ؟

- "إيان ستوارت" .

ارتعشت شفتا "ميشيل" المتورمتان بفعل حرارة القبلات فجاة وتوقفت هي عن السعي إليه . قالت مرددة بصوت خافت :

- "ستوارت" .

- تقبلين رجلا من آل "ستوارت" في فراشك ؟

افاقت الفتاة تماما على أثر هذا الاستفسار الصريح . رفعت ذراعيها عن عنق "إيان" وتراجعت مبتعدة عنه بمقدار خطوة واحدة تاركة ذراعيها تهويان إلى جنبيها .

بدأت ترتعش بشدة لم يمكنها السيطرة على نفسها . أحست برغبة في أن تعاتبه على أنه قد أفاقها من ذلك الحلم الجميل وأعادها إلى أرض الواقع وهي تحاول في ذات اللحظة استيعاب الفعل الذي كانت مقدمة عليه بكل قواها . قالت هامسة :

- اشكرك على أنك قد نبهتني .

أجابها بصوت مفعم بحرارة الأحاسيس .

- "ميشيل" ! أريدك . أريدك الآن ... هنا فوق هذه الرمال .

فهمت "ميشيل" أن دافعه إلى التوقف عن مغازلتها هو رغبته في ألا

www.liilas.com

تعطيه نفسها عشوائيا وهي تحت تاثير دوامة هذه الرغبة المحمومة.

تبينت انها تواجه مشكلة عصيبة ما من حل محتمل لها . فقد تمت برمجة نفسيتها على مدى عشرين عاما كاملة على الحقد والكراهية لهذه العائلة والآن ترى أن جسدها يتوجه إليه بل ويستسلم له على أثر اللمسة الأولى من يديه !

- ما كان ينبغي أن تتعقبني . كان أحرى بك أن تتركني وشاني بعد أن فررت منك .

- هذا أمر لا يمكننا الفرار منه .

- لكنني مضطرة إلى الفرار ...

- "ميشيل" ...

- إنني مضطرة إليه . الثمن باهظ للغاية . لا أريد أن أهدم الأسرة التي نشأت فيها يا "إيان" . من المستحيل أن نعيش معا مثل هذه الأحاسيس كما أنه من المستحيل أن يخيم سلام على عائلتينا .

- هناك شيء ما مشترك بيننا يا "ميشيل" . شيء حقيقي . واقع . لا يسعنا تجاهله أو الفرار منه .

- آه لو ...

- افترضي أنني أطرحك فوق هذه الرمال أضمك إلى صدري وأقبلك كما تلح عليّ رغبة شديدة في ذلك ... هل تقاومينني ؟

أجابته بصدق :

- لا .

- لكنك تكرهينني ؟

أجابته - وقد امتلأت عيناها بدموع حارة -:

- إنني خائفة من أن يحدث بيننا شيء كهذا . أرجوك يا إيان" ألا تقترب مني ... لصالح كلينا . أتوسل إليك أن تتركني وشاني .

وإذ قالت ذلك استدارت مبتعدة عنه بخطى بطيئة أثقلها إجهاد مضن قدر ما هو مفاجئ . وقف "إيان" يراقبها دون أن يبدي أدنى تحرك نحوها .

كانت "ميشيل" في الثالثة عشرة من عمرها عندما أدركت عمق الكراهية التي كان والدها يكنها لآل "ستوارت" .

كانت قد فاجأته في أحد الأيام بالإصغاء إلى حوار ما قال فيه أحد أصدقائه في سياق حديثه :

- لـ"ستوارت" ابن في مثل عمر "چوناثان" ، ذو طلعة واعدة بجاذبية شديدة في المستقبل . عليك أن تحذر يا صديقي من أن يتحرق ذلك الشاب شوقا إلى "ميشيل" فتتاح لعائلته بذلك فرصة ذهبية للانتقام منكم .

رغم النبرة المرحة التي سادت صوت المتحدث انفجر والدها بنبرة حاقدة ومفزعة أخافتها ؛ لأنها كانت مدركة تماما أنه يعني ما قال :

- اليوم الذي تمتد فيه يد أحد شباب "ستوارت" إلى ابنتي سيكون اليوم الأخير في حياته . ولن يكونوا بحاجة إلى تابوت يحتوي جثته لأنني سوف أنسفها إلى ذرات متطايرة .

ربما كان والد "إيان" أقل اندفاعا وأكثر موضوعية في هذا المجال. كان شعاره يتلخص في أن للرجل أن يضاجع ابنة عدوه ثم يؤهلها لمساندته في الثأر والانتقام ، بينما المرأة التي تضاجع ابن عدو أبيها تسدد لوالدها ضربة قاضية لا تقوم له قائمة بعدها .

قصدت "ميشيل" ملاذ حجرتها على الفور وما إن بدأت تستقر هناك حتى سمعت طرقا على الباب الفاصل بين حجرتها والحجرة المجاورة . سمعت صوتا مرحا يناديها بشغف .

- "ميشيل" ! كوكو . إنه أنا !

كانت تلك "چاكي" صديقة طفولتها والشخص الوحيد خارج نطاق الأسرة الذي يعلم بأمر العداوة القائمة بين آل "لوجان" وآل "ستوارت" .

نشأت "چاكي" يتيمة الأبوين في كنف عمها وعمتها ، وكانت تتردد على بيت أسرة "ميشيل" منذ أيام طفولتهما وبذلك ترامى إلى سمعها مئات المرات ما كان ينسب إلى آل "ستوارت" من أخطاء وما يمطر عليهم من لعنات .

www.liilas.com

توقفت "ميشيل" في طريقها إلى الباب أمام المرآة تطمئن على مظهرها فهالها ما رأت في وجهها من شحوب وعلامات اضطراب فضلا عن الشعث الذي أصاب شعرها بفعل الرياح لدى فرارها المحموم . أما شفتاها ... شفتاها على وجه الخصوص فكانتا منتفختين ملتهبتين بشكل فاضح .

بادرت صديقتها وهي تفتح لها الباب متسائلة :

- متى وصلت ؟ كنت أتمشى عند الشاطئ .

رمقتها "چاكي" بنظرات مسحتها من قمة رأسها حتى أخمصي قدميها قبل أن تطلق ضحكة مدوية مرحة :

- أهذه هي الحقيقة كاملة ؟ مظهرك رهيب .

أجابتها "ميشيل" بنبرة تهكم في محاولة للترويح عنها :

- أشكرك على هذه المجاملة اللطيفة .

واستطردت "چاكي" :

- طلبت شايا وسلطة لأن الوجبة التي قدمت لنا في الطائرة كانت سيئة كالمعتاد . هلاّ أتيت معي إلى حجرتي ؟

سارت "ميشيل" معها إلى هناك واتخذت مكانها فوق المقعد إلى المنضدة الصغيرة الموضوعة أمام النافذة المفتوحة بالشرفة . كان من دواعي سرورها أن كانت الحجرة شبه مختبئة في الظلال .

تساءلت "چاكي" قائلة :

- والآن ما رأيك في الـ"مارتينيك" ؟

- مبهرة . لم أر منها الكثير بعد ، لكنني أعجبت إلى حد بعيد جدا بالمنازل والأبنية متباينة الألوان والطرازات التي تتحلى بها منطقة حصن فرنسا وبالغابات الفاخرة التي تكلل جبل "پيليه" .

- والفندق ؟

- متميز جدا . خدمة جيدة ومطعم فاخر وأثاث فاخر وأدوات فراش فاخرة . الشاطئ ساحر أيضا والمشروبات معتدلة الثمن .

قالت "چاكي" بنبرة مرحة :

- لا تقولي لي: إنك قد تغيرت .

طالما أحبت "ميشيل" أسلوب حياة صديقتها المرح ، والتي تميزت بوجه مستدير وعينين خضراوين . قالت مؤكدة لها :

- لا . لا . اطمئني ! واقع الأمر أنني ظللت هناك انتظرك حتى ساعة متأخرة. هذا كل ما هنا لك .

أجابتها "چاكي" التي كانت تعمل مساعدة لرئيس تحرير قسم الأخبار بإحدى القنوات التليفزيونية بـ"أتلانتا" والمعروفة بالنشاط الدائم :

- انتهينا من ذلك المؤتمر الصحفي بأسرع مما كنا نتوقع . وما إن اطمأننت إلى أن كل الأمور تجري على الوجه المطلوب حتى توجهت إلى المطار .

- و"نيكولاس" ؟

رقت تعبيرات وجه "چاكي" لمجرد سماع اسم الرجل الذي يعني بالنسبة إليها العالم وما فيه .

- مسافر كالمعتاد . تركت له رسالة على آلة الرد على الهاتف . لم تكن "ميشيل" لتعلم شيئا بعد عن شهرة "نيكولاس سولتر" الذي سلب قلب صديقتها لكنها كانت تسمعها تتحدث عنه دائما .

- إلى أين ذهب في هذه المرة ؟

- الله وحده هو الذي يعلم . من المفترض أن يعرف المندوب إلى أين هو متوجه ، لكن "نيكولاس" لايبدو على علم قاطع بغايته . ومما يحزنني أنه لم يتمكن من الحصول على عطلة يومين من العمل يقضيهما معي هنا .

قالت "ميشيل" بنبرة مقتضبة :

- أشكرك .

- لا تغضبي . إنها متعة أن تقضي المرأة عطلة بين ذراعي رجل متميز مثله ، ومن ناحية أخرى أريد أن أعرف ما إذا كان يشخر وهو نائم .

- ألم تعرفي ذلك بعد ؟

- لم تتح لي فرصة النوم معه بعد .

www.liilas.com

قالت "چاكي" ذلك بنبرة مرح ودلال في ذات الوقت .

أحست "ميشيل" بوخزة غيرة كبحتها على الفور وسالتها :

- لماذا إذن أيتها الشيطانة الصغيرة تقضين عطلاتك بصحبة صديقة الطفولة ؟ أعلم جيدا أننا كنا قد رتبنا لهذه الرحلة قبل أن تلتقي بـ"نيكولاس" لكنني فهمت ...

- أعلم . لكنه أخبرني بانه سوف يكون لديه كم كبير من العمل في هذه الآونة وكنت أنا بحاجة إلى هذه الرحلة. ومن ناحية أخرى لم أرغب في أن أسمح له بأن يتصور أنني عاجزة عن اتخاذ خطوة بدونه .

- أرجو ألا تكوني مضطرة إلى البقاء بصحبتي .

- على الإطلاق . وبهذه المناسبة ما الذي حدث لك .

ارتشفت "ميشيل" قليلا من الشاي حتى تعطي نفسها لحظة مهلة .

- ما الذي تريدين أن تقوليه ؟

- انظري إلى نفسك في المرآة . من المؤكد أنك قد تعرضت إلى صدمة ما . وحيث إنك تمتنعين عن التصريح لي بما حدث سوف اضطر إلى استخلاصه رغم أنفك .

كانت "ميشيل" تعلم جيدا أنه لا يمكنها ائتمان "چاكي" على مثل هذه الأسرار التي لن تتفهم موقفها منها أو تقدر ظروفها. فعلى الرغم من أن "چاكي" لا تجري في عروقها دماء "لوجان" كانت في مثل درجة اقتناعهم بان آل "ستوارت" من أكثر حيوانات العالم دناءة .

نهضت "چاكي" لتبدأ إفراغ حقائبها قاذفة نحو صديقة عمرها بضع نظرات الاستفسار. وبعد لحظة بدأت تقول :

- على أية حال لابد أن ذلك كان أمرا فظيعا ...

لم تستطع "ميشيل" الاهتداء إلى إجابة لن تكون هي الحقيقة دون أن تكون كذبا . قالت :

- إنني بحاجة إلى تصحيح بعض افكاري . لا تسالينى عنها الآن .

- لا تقلقي . وبالمناسبة ما أخبار والدك و"چوناثان" ؟

- على خير ما يرام .

- حسنا . لا تنسي أنني هنا بجانبك إذا ما نشأت حاجة إليّ .

- شكرا يا "چاكي" .

تبادلت الصديقتان تحية المساء وافترقتا . وعندما عادت "ميشيل" إلى حجرتها ظلت تذرعها سيرا طولا وعرضا بلا انقطاع . سمعت رنين الهاتف :

- "ميشيل" أرجوك لا تقفلي الخط .

فقالت :

- لا أعتزم ذلك يا "إيان" . لقد وصلت صديقتي "چاكي" هذه الليلة .

- ومازلت تريدين أن أتركك وشانك ..؟

- سبق أن قلت لك ذلك عند الشاطئ .

خيمت بينهما فترة صمت ؛ اضطر "إيان" بعدها إلى أن يقول :

- سيكون ذلك من الصعوبة بمكان يا "ميشيل" . إنني أريدك بحق . لم أكذب عليك عندما قلت لك ذلك .

أغمضت "ميشيل" عينيها . لماذا لم يمكنها إعادة سماعة الهاتف إلى موضعها عندما سمعت صوته ؟ تسارعت نبضاتها وثقلت أنفاسها بينما بدأت الشكوك البشعة تتولد بداخلها رغما عنها .

- أتريد أن تحطم أسرتي ؟ هذا هو هدفك يا "إيان" ؟

أجابها بنبرة هادئة :

- لا دخل لكل هذا بأسرتك ؛ فهو أمر يتعلق بكلينا دون سوانا . بك وبي ولا أحد غيرنا .

- إنك مخطئ ...

- لا يا "ميشل" . ثمانية أجيال . ثمانية أجيال هم من عاشوا حياة الحقد والشكوك . ربما ترغبين في أن يستمر الحال على هذا الوضع لكنني مختلف في الرأي والهدف. بوسع شقيقك أن يمقتني ويتمنى لو أنني أذهب إلى الجحيم . أما أنا فلا أطارحه العداء بالمثل. هل تفهمين ؟ كذلك لن أحاربه أو أقف ضده في أي مجال كان . سوف أغادر "اتلانتا" إذا اقتضى الأمر ذلك ، لكن العداء سيبقى معي .

www.liilas.com

سالته بصوت مجهد :

- لماذا ؟ لماذا تتخذ قرارا كهذا ؟

- حدث في هذا المساء أن طوقت فتاة جميلة من آل "لوجان" عنقي وأعلم جيدا أنه لن يمكنني أبدا أن أكن لك مشاعر الكراهية يا "ميشيل" . وكيف يمكنني والأمر كذلك أن أمقت أخاك؟ امتلأت عيناها بالدموع واتجه تفكيرها لحظة إلى "چوناثان" . ماذا من شانه أن يحدث لو أن والدها وشقيقها شملا "إيان" بكراهيتهما ؟ إذا لم يتركا له فرصة الاختيار؟

- أرجوك يا "ميشيل" أن تثقي بي . لن أفعل شيئا فيه مساس بك. لكن لا يمكنني البقاء بعيدا عنك .

قاومت الفتاة بكل قواها حتى لا تذعن إلى إغرائه .

- إذا كنت لا تريد بي مساسا فاتركني وشاني يا "إيان" . أرجوك وبحركة تنم عن شديد الإرهاق أعادت السماعة إلى موضعها .

ظل "إيان" على مدى ثلاثة أيام يعاني مرارة الفراق ؛ لكنه لم يتوقف لحظة عن رصد تحركات "ميشيل" و"جاكي" في ذهابهما وعودتهما فتعرف بذلك على الفتاة الصديقة التي كانت - في المناسبات القليلة التي جمعتها به أثناء استقبال أو عشاء - تنظر إليه وكأنه إنسان مجذوم .

تصاعدت حدة الغيظ بداخله . كيف يمكن لذلك الخلاف الهزلي بين عائلتيهما أن يرغمهما - وهما شابان بالغان سويان يشعر كل منهما بقوة جاذبية الآخر له - على مقاومة هذه الجاذبية لأنهما يعتبران عدوين؟

ومن جهة أخرى رأى هو أن لفظ الجاذبية إنما هو قاصر عن التعبير عن عمق إحساسه تجاه "ميشيل" . توصل بعد عمق تفكير إلى أنه لا غنى له عن "ميشيل" أبدا،لأنه طالما أعجب بقراراتها وبمواهبها وبفتنتها . كانت أحاسيسه نحوها بعيدة كل البعد عن الاشتهاء . عاد بذاكرته إلى ذلك اليوم العظيم الذي التقيا فيه بذلك الطريق السابح في

أشعة الشمس في هذه الجزيرة البعيدة التي لم يعرفهما أحد فيها . وكيف أنه منذ اللحظة التي احتوتها ذراعاه فيها أصبح لا يستطيع احتمال غيابها عنه. وأيا كانت المخاطر والخسائر التي من المتوقع أن يتعرض كل منهما إليها فلن يستطيع أبدا أن ينساها ولا أن يتركها تلوذ منه بالفرار ويعاني مرارة فراقها .

وما كاد قرص الشمس يظهر في الأفق بلونه الأحمر في الصباح الباكر حتى خرج "إيان" إلى الحديقة ولمح "ميشيل" فوق رمال الشاطئ البيضاء . كانت تسير ببطء شديد بمحاذاة المياه الصافية في اتجاه البقعة التي تعانقا فيها ذلك المساء منذ بضعة أيام . تعقبها في هدوء دون تفكير كما فعل في المرة السابقة .

جلست "ميشيل" فوق إحدى الصخور النارية السوداء واستغرقت في تأمل عميق للبحر . انتظم شعرها الأسود الفاحم في خصلة كبيرة بسيطة تحاكي ذيل الفرس يضمها شريط من الستان الأسود . كانت حافية القدمين ترتدي ثوب حمام شمس أبيض ذا جونلة متسعة يثبت فوق الكتفين بحمالتين رفيعتين مؤكدا رشاقتها وانوثتها .

لحق "إيان" بها عند قدم الصخرة دون أن تفطن إلى وجوده بالقرب منها . جلست ممددة الساقين وتطاير الثوب بفعل الرياح فاستقر بين فخذيها . رأته فجأة واقفا بين ساقيها وعيناه على مثل ارتفاع عينيها اللتين اتسعتا دهشة لرؤيته .

لم تنطق بكلمة واحدة وأصابه صمتها بالسكون التام نظرا للوضع المثير الذي كانا عليه . كاد التوتر الحسي بينهما أن يكون ملموسا ولم تمض لحظة حتى استقرت يداه على أعلى ركبتيها مباشرة. سألها هامسا :

- أين صديقتك ؟

- لا تزال نائمة . ليست ممن يستيقظون مبكرا .

- هل تأتين إلى هنا كل صباح ؟

سلكت "ميشيل" حلقها وحاولت ألا تظهر له سعادتها بملمس راحتيه

www.liilas.com

اللتين كانتا تربتان بشرتها الرقيقة برفق .

- عادة ما أمارس رياضة "اليوجا" في هذا المكان لكن لم تتوفر لدي الرغبة في ذلك صباح اليوم .

- حاولت قدر استطاعتي الابتعاد عنك يا "ميشيل" لكنني وجدت أن ذلك امر مستحيل .

حاولت أن تجيبه لكن قواها كانت قد خارت منذ اللحظة التي وضع يديه فيها على جسدها وتوجع جسدها كله رغبة فيه .

أحس "إيان" برغبة في أن يضمها إلى صدره ويقبل شفتيها الناعمتين ويستعيد إحساسه بها في دفء ذراعيه . كاد أن يفقد توازنه من جراء حاجة ملحة - إلى حد لا يحتمل - لأن يذوب فيها تماما بحيث لا يشعر بوجود أي إنسان في العالم سواهما .

أغمضت "ميشيل" عينيها وأمسكت بقبضتيه بيد مرتعشة قائلة :

- لا ثقة لي بك . لا تفعل بي ذلك .

كيف يمكنهما التوصل إلى حل مثل هذا التشابك في الأفكار وفي المشاعر وقد ألفت بينهما جاذبية جسدية متفجرة ؟ حاول "إيان" السيطرة على مشاعره التي أفقدته القدرة على التفكير . لم يكن لأية امرأة من قبل مثل هذا التأثير السحري عليه.

قال :

- انظري إلي يا "ميشيل" .

ارتفعت الجفون الرقيقة لتكشف عن عينين دامعتين . سمعته يقول :

- دعيني أعلمك الطريق إلى الثقة بي . امنحيني الفرصة . امنحيني الفرصة أرجوك .

أحست "ميشيل" بشيء ما يتلاشى من أعماقها صفت على أثر ذلك نفسها واستعادت سلامها . اختفت أيضا المعاناة المترتبة على ترددها وعجزها عن اتخاذ القرار . قالت- وعيناها تلاقيان عيني "إيان"- :

- حسنا جدا . والآن ماذا نحن فاعلان ؟

أمسك بكلتا يديها كي يساعدها على الهبوط من فوق الصخرة .

- سوف نعمل على أن يتعرف كل منا على الآخر .

- من الواجب أن أحدث "چاكي" في الأمر .

- وماذا سيكون رد فعلها ؟

- سيئ . كادت أن تنشأ معي وتعلم يقينا مدى شراسة آل "ستوارت"

- هل هي أهل لأن تكتم السر ؟

رفعت "ميشيل" كتفيها :

- سوف أحاول منعها من أن تستدعي والدي أو شقيقي . لا أريد أن يعلما شيئا ما لم تكن هناك ضرورة لذلك .

وافقها "إيان" قائلا :

- حسنا جدا . ما رأيك في أن يتناول ثلاثتنا الفطور في الحديقة؟

قالت :

- سوف أخبرها وإن لم أكن واثقة بأنها سوف تقبل أن تجلس إلى مائدة واحدة مع "إيان" .

سلكا الطريق إلى الفندق يدها في يده .

قال "إيان" مازحا :

- قولي لها: إنها سوف تكون بمثابة كلب حراسة لنا وأن حضورها معنا سوف يحميك من التنين الشرس .

www.liilas.com

الفصل الرابع

استندت "چاكي فلين" على درابزين الشرفة الملحقة بحجرتها تستنشق هواء الصباح النقي بشغف عندما وقع بصرها على "ميشيل" عن بعد بصحبة شخص أشقر طويل القامة أحاطها بذراعه مستأثرا أكثر منه مجاملا . وما إن اقترب الاثنان منها حتى ألم بها إحساس بالقلق . أحست في مسلك هذا المجهول شيئا ما...

لم تتمكن من رؤيتهما جيدا، لأنهما كانا يظهران تارة ويختفيان تارة أخرى في سيرهما على الممر الضيق الذي امتد من حول شجيرات الصبار والتين الشوكي ، لكن عندما افترقا عند حافة حمام السباحة رفع الرجل وجهه في اتجاهها فتمكنت من رؤيته بوضوح .

اتخذت خطوة سريعة إلى الوراء إذ أصابها إحساس بالغثيان . قالت متعجبة :

- آه يا إلهي !

وقفت "چاكي" وقد شحب وجهها وتطاير شعرها في الهواء عند عتبة

الباب الفاصل بين حجرتيهما . سألتها "ميشيل" :

- هل أنت بخير ؟

أجابتها صديقتها بصوت فاتر :

- رأيتك ! رأيتك معه .

لم يثر انطباع "چاكي" دهشة الفتاة وإن كان قد أحزنها . فقد كان الدليل على مفعول غسل المخ الذي تعرضت له منذ الصغر : أصبحت "چاكي" تكن كراهية بشعة لإنسان لا تعرف عنه شيئا على أثر عشرين عاما من الأفكار والأحاديث المسممة عن أسرته .

قالت تطالب "ميشيل" :

- أخبريني إذا كنت قد أخطأت . قولي : إن الشاب الذي كنت بصحبته هو شخص آخر غير "إيان ستوارت" .

- كان هو بالفعل .

- "ميشيل" ...

فقالت "ميشيل" شارحة لها الظروف :

- لقد انقذني غداة يوم وصولي إلى هنا . ولم تقم الدنيا ولم تقعد لأنني قبلت معاونته يا "چاكي" . كذلك إن "إيان" ليس وحشا ضاريا ولا شيطانا مغويا . كل ما فعله أنه عرض علي توصيلي إلى الفندق وبعد ذلك تعشينا معا .

- لكنه من آل "ستوارت" يا "ميشيل" وطالما حاول - بالاشتراك مع والده وعلى مدى سنوات عديدة - أن يهدم أسرتك .

- لا . لا شأن له بذلك .

- في اعتقادي أنه هو الذي أخبرك بذلك .

لم تستسلم "ميشيل" لرأي صديقتها على الرغم من بذور الشك التي حاولت تلك الأخيرة غرسها فيها . فقالت :

- "چاكي" ... حاولي أن تفهميني . لم أكن لأعلم أنه بهذه الجزيرة ولا أريد - قبل كل شيء - أن أغضب والدي أو "چوناثان" .

- ولكن ؟

www.liilas.com

- لكنه أثار في مشاعر لم أعرفها من قبل . أحس للمرة الأولى طوال حياتي أنني امرأة . كان هذا الإحساس الغريب الذي كدت ألا أصدقه هو الذي أصابني بهذا القدر من الخوف الذي جعلني أفر هاربة من وجهه وكأنني سارقة .

- فررت ؟ إلى أين ؟

- إلى الشاطئ .

- وتبعك ...؟

- نعم . وعلم ذلك الأمر الذي فررت منه، وسبب فراري عندما ضمني إلى صدره .

فقالت "چاكي" بدهشة :

- كنت واثقة بانه فعل بك ذلك. هذا الوغد يخطط لإغوائك .

انتابت "ميشيل" ثورة غضب :

- أتعتقدين ذلك ؟ في هذه الحالة يكون قد أضاع فرصة ذهبية سانحة.. فرصة العمر . لأنني أنا التي رجوته ألا يتوقف عن تقبيلي لكنه كان من الأمانة بحيث لم يصغ إليّ .

ظلت الفتاتان تتجادلان وتتبادلان نظرات الريبة مدة طويلة .

قالت "چاكي" مؤكدة لها :

- أؤكد لك أنه يريد بك سوءا .

- وكيف لك أن تتأكدي من ذلك ؟ هل لمجرد أنه من آل "ستوارت" ؟ لماذا لا تفترضين ببساطة أنه مجرد شاب استحسن ما لي من جاذبية ؟

- وهل هذا هو إحساسك نحوه ؟ جاذبية مجردة نحو رجل مغو؟ جاذبية طاغية أم جاذبية لاسمه ...

- ما الذي تعنينه ؟

- جاذبية الفاكهة المحرمة ... التي يظن أنها أحلى مذاقا من غيرها .

راودت "ميشيل" بعض الشكوك الشريرة مرة أخرى فاردفت تقول :

- ليس الأمر بهذه البساطة !

- أتعتقدين ذلك ... "إيان" آخر رجل في الوجود يمكنك أن تعشقيه؟

والدك سوف يتبرأ منك بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان . وكذلك "چوناثان" .

- أعلم .

أضافت "چاكي" وقد زاد الجو توترا :

- ربما كان واثقا بانه سوف ينجح . إنه جعلك تفقدين رجاحة عقلك وتتشبثين به إلى حد من شانه أن يكسر قلب والدك و...

أجابتها "ميشيل" بنبرة منذرة :

- كفى ! انت صديقتي واعلم أنك إنما تبغين صالحي . اتركيني إذن أتبين كل شيء بنفسي . من الممكن ألا أتمسك بـ"إيان" لكنني أكون - على الأقل - قد اتخذت قراري وأنا على علم تام بالموقف . لا يمكنني أن أمقته بمجرد أن يأمرني أحد بذلك .

فقالت "چاكي" بنبرة جافة :

- من الواضح أنك تتوقعين مني الصمت على كل هذا .

- أرجو ذلك . ربما لن يكون هناك ما يتعين إخبار أبي و"چوناثان" به، لكن إذا ما تطلب الأمر ذلك أفضل أن أتحدث معهما في الأمر بنفسي .

أجابتها "چاكي" وهي تنظر نحو الأرض :

- حسنا . سوف أصمت . ربما استطعت الانسحاب من هذه العلاقة قبل أن تعاني جراحها .

تأكدت "ميشيل" من وجود مفتاح الحجرة بـ جيب ردائها فاتجهت نحو الباب وهي تقول لـ"چاكي" :

- واقع الأمر أن "إيان" دعا كلينا إلى تناول الفطور معه . هل تأتين ؟

- لست جائعة .

وإذ توقعت "ميشيل" مثل هذه الإجابة اكتفت بأن تضيف :

- سنكون في التراس . إذا غيرت رأيك تجدينا هناك .

- "ميشيل" .

- نعم .

- يمكنه أن يلحق بك أذى بالغا ! يفوق كل أذى يمكن لأي رجل في

www.liilas.com

العالم أن يلحقه بك .

لم تجد "ميشيل" ما تجيبها به لأن ذلك كان الواقع . أغلقت باب الحجرة ثانية وتوجهت في صمت للانضمام إلى "إيان" .

قال "إيان" بعد انقضاء بضع دقائق :

- ألم ترحب بالفكرة ؟

استندت "ميشيل" إلى الخلف فوق مقعدها المصنوع من الخيزران.

- بلى هذا صحيح لسوء الحظ . ولا يمكنني أن الومها على ذلك . إنها فتاة رائعة لكنها لا تكون اكثر تعقلا من أسرتي إذا ما كان الأمر يتعلق بأحد من آل "ستوارت" .

- يخيل إليّ أنها لابد أن تكون قد واجهتك بقائمة من الأسباب التي تحتم عليك عدم مقابلتي .

فاجابته متنهدة :

- آه . نعم . وكنت أتصور جميع هذه الأسباب من قبل ، لكن عندما قالتها هي بدت لي أسوأ من ذي قبل .

توتر فك "إيان" وهو يقول :

- أمر واضح .

توترت "ميشيل" بدورها عندما رأت أن "چاكي" تتجه نحو منضدتهما. قالت :

- لقد غيرت رأيها وأرجو أن تتمالك أنت أعصابك .

وكان الحال كذلك . لم تتوقف "ميشيل" على مدى الساعة التالية عن شكر الله ؛ لأن "چاكي" لم تخف - ولو لحظة واحدة - كراهيتها وعداءها لـ "إيان" بل ولم تضع فرصة واحدة لأن توجه إليه لفظا لاذعا جارحا .

وإذا كانت مضايقات تلك الفتاة المتهورة لم تنجح في إثارة غضب "إيان" . فإن ذلك كان تضحية من جانبه من أجل "ميشيل" التي شحب وجهها تماما من جراء هذا الموقف السخيف بحيث لم تكد تتناول شيئا من فطورها . لم يشأ أن يتدخل بين الصديقتين ؛ لكنه رأى ألا يسمح لهذه المرأة القاسية بتدمير علاقتهما قبل أن تسنح لها الفرصة بالتفتح

والازدهار . قال وهو ينهض ليضع نهاية لهذا العذاب :

- نستأذنك .

وبدلا من أن تلتفت "چاكي" نحوه خاطبت صديقتها قائلة :

- من المؤكد أن يتصل "چوناثان" هاتفيا . هل من الواجب أن أخبره بأنك ...

أجابتها "ميشيل" بكبرياء قبل أن تدير لها ظهرها :

- لم أعرفك على هذا القدر من القسوة من قبل . يمكنك على أية حال أن تخبريه بما يروق لك .

رأى "إيان" وجه "چاكي" يشحب دون أن يعلم ما إذا كان ذلك خجلا أو غضبا . أسرع للحاق "ميشيل" التي كانت قد تقدمته ببضعة أمتار . قال لها معترفا :

- كانت هذه التجربة خطأ جسيما . إنها تمقتني بشدة .

قالت الفتاة هامسة وقد انحنى رأسها :

- إنني حزينة .

ولم يجبها "إيان" إلا بعد أن استقلا سيارته .

- لا ينبغي أن تحزني يا "ميشيل" . "چاكي" مثلنا ضحية ظروف غريبة .

- لكن لماذا نتجاوب مع الموقف على نحو مختلف ؟

- لأننا مدفوعان بشيء ما أقوى منا . وقد يكون أقوى أيضا من تلك الحرب الحمقاء . وسوف نكتشف ما ذلك الشيء يا "ميشيل" .

نظرت الفتاة إليه بهدوء إذ سيطرت عليها رغبة تلاشت أمامها جميع الشكوك . أصبحت لا تحلم بشيء أكثر من ذراعيه تطوقانها وشفتاه فوق شفتيها وجسدها يحس نبض جسده ... رجل وامرأة بمفردهما في سيارة ولا شيء في الوجود يهم بعد ذلك .

سألته بنبرة حانية :

- إلى أين نحن ذاهبان ؟

توترت عضلة في فك "إيان" وأحكم قبضته على عجلة القيادة أجابها

www.liilas.com

بصوت متوتر :

- لا تنظري إلي هكذا .

فاجابته - وقد هالها انه مفتون بها إلى هذا الحد -:

- لا أستطيع أن أحول بصري عنك .

رمقها "إيان" بنظرة جانبية زادتها إحساسا بقربه . لم يكن اختيارها لذلك الثوب الأبيض القصير من قبيل التعقل على الإطلاق . فقد تدلى فيه شريط مثقوب على كل من جانبيه وثالث في الوسط مما أتاح في غياب ملابسها الداخلية رؤية أجزاء دقيقة من جسدها الذهبي على امتداد طول الثوب . هذا فضلا عن انه كان يكفي حل عقدة حمالتي الكتفين حتى يسقط الثوب كله عنها . وقد زادت - نظرة عينيها الرماديتين المتقدتين رغبة إليه - الأمور تعقيدا.

بادرها بنبرة حازمة :

- "ميشيل" علينا أن نتوخى الحذر لصالح كلينا . إذا حدث أن مارسنا الحب معا قبل أن تثقي بي ...

تمارس الحب معه ... سرت في جسدها قشعريرة محرقة .

تصبح عشيقة "إيان" تحتويها ذراعاه وتحس نبض جسده ... تصبح له ... أصبح هذا كل شيء لها وله لكن كان عليهما أن يهتديا إلى أسلوب ما للتعامل مع هذه الجاذبية الطاغية .

سالته بعد ذلك بقليل وهما يتنزهان تحت أشجار النخيل عند حصن فرنسا :

- وكيف يمكنك أن تتاكد أنه ليست لدي اية نيات خفية ؟ في تصوري أنك قد سمعت على مدى الأيام والسنين أهوالا عن آل "لوجان" تفوق ما غرفته أنا عن آل "ستوارت" .

فاجابها معترفا :

- هذا صحيح. لكن عن والدك و"چوناثان" وحدهما . لم أسمع عنك شيئا قط . لم يذكرك والدي سوى مرة واحدة كانت عندما عاتبني على أن فارسة شابة اختطفت الفوز مني في إحدى مباريات الفروسية وأهم

ما في الأمر أنها كانت من آل "لوجان" !

لم تستطع "ميشيل" أن تكبح ابتسامة .

- كنت مصرة على الفوز في ذلك اليوم . لكن ليس لأنك من آل "ستوارت" .

فقال "إيان" :

- أعلم . كنت مستشيطة غيظا، لأنك سقطت عند قدمي أثناء ...

سالته متحيرة :

- وكيف فهمت ذلك ؟

- من بريق العناد الذي اتقد في عينيك . لم يكن مبعثه الكراهية.

تساءلت "ميشيل": عما كان عساه أن يحدث لو كانت قد قبلت اليد التي مدها إليها منذ عشر سنوات مضت ؟

سالها "إيان" :

- فيم تفكرين ؟

تنهدت الفتاة :

- تقول : إنك لن تشن حربا على "چوناثان" لكن هل فعلت ذلك من قبل؟ في الماضي حسبما سمعت .

- لم أفعل أبدا شيئا ضد والدك ولا شقيقك ولا ضد منشاتهما يا "ميشيل" ولم يحدث قط أن سلكت أسلوبا معوجا للتفوق عليهما. أبدا .

- كان ينبغي أن أسالك .

أخذ يدها ومررها فوق ذراعه ببطء شديد وهو يقول :

- إنني مقدر ذلك . والآن أريد أن أقترح عليك أمرا : لا داعي للمزيد عن أسرتينا ولا عن خلافاتهما الآن . إننا بصدد التعارف ولا شيء غير ذلك بيهم .

- ساحاول .

فاجابها هامسا :

- حسنا .

عندما عادت "ميشيل" إلى حجرتها في ساعة متاخرة تلك الليلة بعد

www.liilas.com

يوم قضته بصحبة "إيان" في جو من التوتر في محاولة للاهتداء إلى حالة من التوافق بين افتتان كل منهما بالآخر وبين الصراع الذي يفرق بينهما ... لم تدهش أن رأت باب "چاكي" مغلقا وذلك على ضوء حالة صديقتها المعنوية . لكن عندما غادرت الحمام بعد الاغتسال وجدت صديقتها في انتظارها بعتبة الباب الفاصل بين حجرتيهما وقد احمرت عيناها بالبكاء . بادرت "ميشيل" بقولها بصوت غير واثق :

- أود أن أتحدث معك .

أجابتها "ميشيل" بدورها :

- ماذا حدث ؟ هل اتصل "چوناثان" هاتفيا ؟

- لا ...

لم تدر "چاكي" ماذا تقول ؟ لكنها تغلبت على اضطرابها قائلة :

- سامحيني . سامحيني على مسلكي وعلى ما قلته صباح اليوم .

لم تستطع "ميشيل" أن تخفي دهشتها .

- لقد غيرت رأيك بسرعة فائقة .

بدا الأسى واضحا على "چاكي" :

- ظللت أفكر طوال اليوم . أنت صديقتي يا "ميشيل" ، وإذا لم أظل بجانبك في مثل هذه الظروف فمن الذي سيفعل ؟

- وكيف يمكنك الوقوف بجانبي وأنت تكرهين "إيان" ؟

- لا أهمية لمشاعري نحوه . كل ما يهمني هو التجربة التي تخوضينها . وأنت محقة فيما قلت : لست طفلة ولا فتاة حمقاء ولك وحدك أن تتخذي قرارك . ولا حق لي في أن أملي عليك شيئا .

قالت "ميشيل" في قمة دهشتها :

- إنني سعيدة بأنك قد أعدت التفكير في الأمر .

استطردت "چاكي" تقول :

- لا أخفي عليك أنني لا أستطيع أن أرى كيف يمكن لمثل هذه العلاقة أن تنتهي على خير . هنا على بعد آلاف الكيلو مترات من بلدنا التقيت به في ظروف استثنائية لكن بمجرد عودتكما إلى "أتلانتا" سيصبح

"ستوارت" من جديد وأنت "لوجان" . وعندئذ سوف تضطران إلى العودة إلى أرض الواقع .

- ربما نعود معا إلى هناك ...

صاحت "چاكي" التي عاودتها حيويتها :

- أتوق إلى رؤية ذلك مهما كان الثمن ! فهو يفوق دخول الچنرال "شيرمان" "أتلانتا" .

- أراك هادئة تماما .

وضعت "ميشيل" كتابها فوق المنشفة وتقلبت لترقد على بطنها . فضلت النظر في اتجاه البحر على النظر نحو "إيان" . وبعد بضعة أيام - قضياها في التجول بالجزيرة والتعرف على معالمها والاستمتاع بمشهد القلاع البيضاء من فوق القوارب الطافية فوق المياه الصافية والسباحة في حمام السباحة الملحق بالفندق ، والتمشي فوق الرمال البيضاء ، وتبادل الأفكار والآراء فيما بينهما - أحست بجاذبية نحوه تفوق إعجابها به عن ذي قبل. ألح عليها إحساس زعزع كيانها بأنها سوف تفقد شيئا ثميناً إذا لم تتصرف وعلى الفور .

- هل يمكنني بحق أن أوحي إليك بالثقة بي ؟

- هذا هو أملي .

نهضت "ميشيل" جالسة والتفتت إليه . كان قد رمق ثوب سباحتها بنظرة خاطفة وكانت ترتدي فوق هذا الثوب الأبيض ذي القطعتين جلبابا من الحرير الأزرق .

- هل من المفترض أن تأتي الثقة مباغتة مثل البرق ؟ هل من الممكن أن أستيقظ ذات صباح جميل وأقول لنفسي : اليوم أثق بـ"إيان" أو أنظر إليك فيدهشني فجاة أن أرى الدليل المنشود واضحا في محياك ؟

- "ميشيل" ...

توترت أعصاب الفتاة فاحست فجاة كأنها على حافة هاوية .

- هذا مستحيل يا "إيان" . لن يمكننا محو حصاد عشرين عاما في أسبوع واحد . هذا كل ما يبقى لنا ... أسبوع واحد .

www.liilas.com

سالها بصوت أجش :

- ما هذا الذي تقولينه ؟

- ما الذي سوف يحدث عندما أعود إلى بيت أسرتي ؟ ليست لدي الآن أمور مؤكدة أكثر مما كانت لدي في اليوم الأول للقائنا حتى إنني لا أعلم سوى شيء واحد هو أنه لا يمكننا - ونحن في "آتلانتا" - التوقف على ما عجزنا عن التوصل إليه ونحن هنا .

فهم "إيان" أنهما على أبواب لحظة حاسمة : ظلت "ميشيل" على مدى بضعة أيام تقيم الأمور لكنها وجدت نفسها في النهاية في مازق في مواجهة شكوكها . أما "إيان" فقد قاوم الإغراء إلى أقصى حد ممكن رغم رغبته الجنونية فيها حتى كاد الإحباط أن يقتله .

- "إيان" ...

عندما نظرت "ميشيل" - نحوه رأت وجهه الوسيم أنيق القسمات وتلك العينين البراقتين اللتين تلألأ فيهما وعد فهمته غريزيا - أحست بشيء يختلج في أعماقها كأنه عصفور حبيس يضرب بجناحيه انتظارا للطيران والانطلاق . وكما - بمعجزة ما - ترك الأسى مكانه لدفعة من الرغبة تلاشت معها ظنونها ومخاوفها .

اقترب "إيان" منها ليستلقي فوق المنشفة فاحست بفخذه العضلية تحتك بجسدها بينما كانت تريح رأسها فوق ذراعه القوية قبلها بحرارة وهو يقول هامسا بصوت أجش :

- يبدو أننا لم ننتق لنا بقعة مناسبة .

أحاطت وجهه بكفين مرتعدتين وهي تهمس قائلة :

- ربما ...

أطلق "إيان" أنينا خافتا وهو يدفع برأسه ليستقر فوق صدر الفتاة التي اندفعت أصابعها تتخلل خصلات شعره الشقراء الحريرية وهي تلهث تحت حرارة قبلاته .

- "إيان" ماذا نفعل الآن ؟

- نذهب إلى حجرتي على الفور .

لم تعترض "ميشيل" على هذا الاقتراح . بل تشبثت باليد التي امتدت إليها تساعدها على النهوض . كان التوق الذي أحسته إليه من القوة بحيث كانت على استعداد لأن تذهب معه إلى حجرته على مرأى من والدها وشقيقها مجتمعين .

ضمها إلى صدره وهما في المصعد بحرارة حتى كادت أن تختنق . قال هامسا :

- لن اترك لك أدنى فرصة للتراجع عن رأيك .

وزادها اشتعالا بنظراته المتأججة . وقفت على أطراف أصابعها حتى يمكنها أن تطوقه وتقترب منه بقدر أكبر وهي تهمس بنبرة حارة :

- لن أغير رأيي أبدا .

ما إن فتح باب المصعد حتى حملها "إيان" بين ذراعيه إلى حجرته تحت نظرات الفضول من بعض الخدم الذين تصادف وجودهم بالممر المؤدي إلى الحجرة .

وضعها فوق فراش سابح في ضوء الشمس ودفئها . طلب موضع من ذهنها منها أن تلفت نظر "إيان" إلى أنه لم يكن لها خبرة سابقة بالحب وممارساته . لكن صوتها لم يبرح حلقها إذ استسلمت لملاطفاته كلية وهي تستقبل حرارة قبلاته وتجيبها بمثلها أو يزيد .

ما لبث - لشدة دهشته ورضا نفسه - أن علم أنه الرجل الأول في حياتها وكان ذلك ما تمناه طوال حياته .

www.liilas.com

الفصل الخامس

- "ميشيل".. حبيبتي ..

رفعت نحوه شفتين مرتجفتين وعينين براقتين دامعتين وببطء شديد امتدت يداها اللتان كانتا ممسكتين بكتفيه لتطوقا عنقه باستئثار وهي تهمس :

- "إيان" ...

حنى رأسه وأخذ يطبع القبلة تلو الأخرى حتى اتقد جسدها شوقا إليه فتلاشى كل اعتبار آخر وكل مخاوف متوقعة أمام الرغبة الجامحة التي احتوتها والهمسات الرقيقة التي أثرت أذنيها . لم تحس سوى رضا تام وسعادة لم تعرفها من قبل . أما هو فكان مدفوعا بحرارة المشاعر التي طالما ادخرها لها ولها وحدها . أحس برغبة في أن يذوب فيها وتذوب هي فيه حتى يندمجا معا ولا تقوى قوة في الوجود أيا كان نوعها على أن تفصل بينهما أو تفرقهما . أغمض عينيه وأصم أذنيه عن كل شيء آخر في الوجود عدا الفتاة التي احتوتها ذراعاه والسعادة التي فجرتها بداخله .

أحست "ميشيل" وعلى مدى برهة طويلة وكأنها تطفو في الهواء وقد شبع جسدها إلى حد الانتشاء . تلذذت بحركة عضلات ظهره وكتفيه من تحت أصابعها . أحبت عناقه وقربه منها وتلك العلاقة الحميمة التي نشأت بينهما بمثل هذه القوة .

أحبت كل ذلك ... وكل شيء فيه .

أصبحت الآن تعرف أسباب الحاجة الملحة التي أحستها إليه وأسباب تأجج مشاعرها عند اللمسة الأولى منه . وإقدامها على التعرف عليه عن مثل هذا القرب دون تردد . لقد أحبته ... هو ... عدوها وآخر رجل في الوجود كان ينبغي أن تعشقه وتهبه نفسها . جميع الظروف تقف ضدهما . لكنها لم ترغب - في تلك اللحظة - في أكثر من أن تستسلم للتلذذ بهذه الأحاسيس الجديدة الغريبة التي لا تضارعها أحاسيس أخرى في الوجود .

قال "إيان" هامسا لها :

- آسف أن سببت لك ألما يا حبيبتي .

كانت "ميشيل" قد نسيت تلك اللحظات فقدمت إليه شفتيها لتحس خفقان قلبه لرؤية شفتيها المرحبتين ونظرة عينيها المتقدتين.

- كان ينبغي أن تخبريني بذلك ...

فهمست إليه بنبرة حانية :

- لماذا ؟ كي تتراجع ؟

- ما كان بوسعي أن أتراجع تحت أي ظرف كان حتى لو سقطت السماء فوق رأسينا . كنت متأججا رغبة يا "ميشيل" بحيث إنني كدت ألا أدري بما كنت أفعله .

جذبته إليها حتى تشجعه على أن يضمها إلى صدره ثانية وسرعان ما أحس بأنها تستسلم لنوم هادئ بعد علاقة عاطفية ضارية توجت طول انتظارهما ومقاومتهما للجاذبية الظالمة التي أحسها كل منهما تجاه الآخر .

حاول بلمسة رقيقة أن يبعد خصلة من الشعر الحريري الفاحم عن

www.liilas.com

وجهها ويعيدها إلى خلف صدغها . ثم اخذ يبتعد عنها بحذر شديد حتى لا يوقظها لكنها تنبهت إلى ذلك واحتجت عليه بصوت يغالبه النعاس فاذعن إلى رغبتها وطوقها بذراعيه . أوت إلى صدره وانتظم تنفسها وهدأ .

أما "إيان" فلم يستطع أن يجد إلى النوم سبيلا بل ظل يفكر في جسامة الفعل الذي أتياه . رفض في بادئ الأمر أن يفكر فيما هو ابعد من اللحظة الحاضرة وأن يحدد طبيعة ما كان يدور بينهما وأن يملي على "ميشيل" أن تقبل ذلك الواقع ، لكنه سرعان ما تبين أن الأمر اكثر من مجرد جاذبية جسدية عادية .

علم جيدا أن هذه المشاعر الفياضة التي تعني له النعيم سوف تقاوم بضراوة في عالمهما المعتاد خاصة أن من يديرون المعركة من الرجال وبخاصة والد "ميشيل" وشقيقها من الخبراء المعروفين بفنون الحرب ولن يبديا أي تفهم ولا أي تعاطف .

أصبح عليه من الآن فصاعدا أن يواجه الحقيقة العارية والمعركة الأكيدة التي تنتظرهما . ضم "ميشيل" بحنان إلى صدره . لقد ولى أوان التراجع ... هذا إذا كان قد وجد أصلا .

جلست "ميشيل" على حافة فراش "إيان" ملتفحة بمنشفة وردية. سالته لدى مغادرته الحمام :

- أنت الذي فعلت ذلك ؟ لم يكن لدي من الثياب سوى جلباب بال ارتديته فوق ثوب السباحة ذي القطعتين .

- ألا تذكرين ؟

- لا . للأسف . وسوف أستعير منك شيئا ارتديه حتى يمكنني أن أعود إلى حجرتي .

جلس "إيان" إلى جوارها :

- لن تفعلي ذلك . ستبقين معي .

- هذه الليلة ؟

فاجابها بنبرة حانية :

- هذه الليلة والليلة التالية وكل ليلة تالية أخرى ممكنة .

فاجابته :

- حسنا .

- ينبغي أن نتحدث يا "ميشيل" .

مر بعيني الفتاة ظل أسى .

- لا أريد أن نتكلم .

- حبيبتي ... تعلمين جيدا انه ينبغي علينا أن نتكلم .

ارتعشت شفتا الفتاة وارتسم الأسى والازدراء والخوف في عينيها .

- نعم . أعلم .

قال مؤكدا :

- سوف نهتدي إلى حل ما . أما الآن فعليك أن تطلبي لنا طعام غداء هنا في الحجرة . ساعود إليك فورا .

- إلى أين أنت ذاهب ؟

- إلى متجر الفندق حتى يمكنك أن تتناولي الحبة ...

- آه ... واحمر وجهها .

- كنت من الانفعال بحيث لم أفكر في تحصينك . سامحيني .

- ولم يتطرق ذهني أنا أيضا إلى ذلك .

اتقدت عينا "إيان" وهو يمرر يده فوق بطن الفتاة ويقول بنبرة خشنة:

- قد يكون الوقت قد تاخر جدا .

احتواها دفء لذيذ إزاء فكرة أن تحمل طفل "إيان" ومع ذلك وعلى الرغم من الحرارة التي حكمت علاقتهما العاطفية واتحادهما لم تفكر قط في احتمال حدوث ذلك الحمل ، بل ولم يمكنها معرفة مشاعرها الحقيقية إزاء امر كهذا . قالت - والابتسامة ترتسم على شفتيها وبنبرة لم تخل من المرح - :

- بذرة "ستوارت" تتخذ لها جذورا في رحم فتاة "لوجان" ؟ إنه حدث يعيد أسلافنا من قبورهم !

طبع "إيان" قبلة على وجنتيها وهو يقول :

www.liilas.com

- وسوف يكون لوالدينا زبد الشفاه . ثم اضاف بعد لحظة : بغض النظر عما سيكون سوف نواجه مثل هذا الوضع معا .

أثناء تغيب "إيان" وبعد لحظة تردد اتصلت "ميشيل" هاتفيا بـ"چاكي" . قالت :

- "چاكي" . أريد أن أخبرك بانني ... بانني سوف أقيم فترة ما مع "إيان" . لا أريدك أن تقلقي عليّ .

خيم صمت طويل بينهما . تحدثت "چاكي" بعده بصوت خال من الانفعال .

- هل مارستما الحب ...

- أيدهشك ذلك ؟

- لا . لا ... اتصل "چوناثان" منذ بضع دقائق اخبرته بانك خرجت للتنزه وانك على خير ما يرام . امقت الكذب يا "ميشيل" .

- لم تكذبي فانا على خير ما يرام .

- لو أخبرته بما حدث ... فإنك تخاطرين بأن تدفعي الثمن غاليا يا "ميشيل" .

وإذ لم تتوفر لدى الفتاة الرغبة في المناقشة تنهدت ورأت أن تؤجل الحديث في الموضوع بعض الوقت :

- سوف نعاود المناقشة في وقت لاحق . موافقة ؟

- موافقة .

ظلت "ميشيل" - بعد أن أعادت سماعة الهاتف إلى موضعها - مستغرقة في تفكير عميق تنظر إلى لا شيء محددا أمامها . لم يكن رد فعل "چاكي" سوى نسخة مخففة جدا مما ينتظرها في "اتلانتا" . هنا الواقع لا يغيب عن ذهنها إلا عندما تكون بين ذراعي "إيان" وما إن تغب عنها حتى تبدأ تحس بالتردد والقلق والضعف . طالما أحبته لكنها لم تكن واثقة دائما بانه أهل لثقتها . واصلت الأفكار المظلمة تسلطها عليها والسيطرة على أعماقها . "چاكي" محقة فيما قالت من أن باستطاعة "إيان" أن يصيبها بجراح أعمق مما عسى أي رجل آخر أن يلحقها بها .

ومع ذلك لم يكن أمامها اختيار . أصبح عليها أن تواجه هذا الخطر . لأن حبها له قد أسقط كافة المعوقات والحواجز بما في ذلك كبرياؤها . بحكم نشأتها بالجنوب وبحكم مكانة والدها اعتادت أن تعتز بأنها تحمل لقب "لوجان" . لكنها من الآن فصاعدا سوف تنتمي إلى "إيان" إذا كان لايزال متمسكا بها . إذا حدث أن احتقرت نفسها لأنها أصبحت تحمل اسم "ستوارت" -ففي هذه الحالة - فلا ينبغي أن يعلم بذلك والدها أو شقيقها ، فإن هذا الحب يكون الشرارة التي تفجر العنف بين الأسرتين .

- هل ارتديت ملابسك ؟

وقف "إيان" الذي لم تسمعه يدير المفتاح بقفل الباب ينظر إليها عند عتبة الباب .

- نعم .

فاجابها :

- لا .

اختفى ليعود بعد بضع ثوان يدفع أمامه عربة تحمل طعام غدائهما .

- جسدك مستور بقدر كاف بالنسبة إلي لكن ليس بالنسبة لعامل هذا الطابق .

- لكنني ارتدي ثيابا .

- هم ... تبدين مثيرة إلى أقصى الحدود بقميصي فوق ظهرك . هل سبق أن أخبرتك بانك رائعة الجمال ؟

- لا أذكر ذلك ...

- لابد إذن أن أكون قد أخبرتك بذلك بذهني ... وكان هذا هو رأيي فيك منذ أن كنت في السادسة عشرة .

قال ذلك وهو يدفع بالعربة إلى الشرفة .

قالت متحيرة :

- ماذا ؟

اقترب "إيان" من الفراش جاذبا إياها إلى ذراعيه :

www.liilas.com

- لماذا أنت مدهوشة إلى هذا الحد ؟

- كنت هيكلا عظميا .

- كنت هيكلا عظميا رائعا . شعر جميل وعينان تحاكيان عيون المها. ظللت تسبحين بمخيلتي منذ ذلك الحين مثل لحن جميل لا ينسى. وفي كل مرة كنت أراك فيها بين الناس في المسرح أو في حفل استقبال كنت أسأل نفسي: ما إذا كنت ترفضينني ثانية إذا ما دنوت منك ؟

قالت هامسة :

- ما كنت لأفعل ذلك .

دعاها "إيان" إلى الذهاب إلى المائدة بعد أن ضمهما عناق حار. قال :

- ينبغي أن نتزود بقدر كبير من الطعام حتى نستعيد قوانا .

كانت الابتسامة الخفية التي صاحبت هذه العبارة كافية لأن تثير في "ميشيل" الرغبة من جديد بحيث فشلت كافة جهودها للتركيز على وجبتها .

أما "إيان" فظل يتناول طعامه على نحو تلقائي دون أن يحول عينيه عنها فقد تحولت - بداخل قميصه الكبير جدا بقسماتها الرقيقة وقد انسدل شعرها الحريري الفاحم يخفي قدرا من مساحة وجهها - إلى تلك الفتاة الرقيقة ذات العشرين ربيعا التي طالما سلبته لبه .

بدا الاضطراب واضحا عليها ففهم أنها لابد تتساءل: كيف سيكون حالها أثناء فترة غيابه؟ قالت أخيرا - وعيناها تتجهان إلى طعامها - :

- هل تعتقد أنه سيمكننا أن نضع نهاية لهذه الحرب الحمقاء ؟

فقال :

- لا أدري .

قررت "ميشيل" أن ترفع نحوه عينيها الرماديتين :

- لم يتجه والدانا قط إلى العنف الصريح المباشر . هل فكرت في أن علاقتنا من الممكن أن تغير كل ذلك ؟

- سوف نحول دون حدوث مثل هذا التغيير يا "ميشيل" .

- كيف ؟ بأن نقول لهما : إن هذا الأمر لا يخص أحدا سوانا ؟ لن

يقيموا الأمر من هذه الزاوية . بأن نقول لهم: إن العلاقة التي توطدت بيننا لم تكن بتخطيط سابق من جانبنا ؟ لن يقدروا ذلك يا "إيان" ولن يتفهموه أبدا .

قال بعد فترة تفكير :

- سيكون ذلك وبالا عليك . لن يتبرأ والدي مني مهما اشتدت حمية غضبه لأنني آخر ورثة آل "ستوارت" ؟

- هذا صحيح . أما والدي فسوف يكون ... أقل تعقلا . أكون سعيدة الحظ لو أنه سمح لي بالوقت اللازم لحزم أمتعتي . لكن جل ما أخشاه هو ما يحتمل أن يفعله بك وبوالدك .

أخذ "إيان" يدها من فوق المائدة :

- "ميشيل" ...

- كيف يمكنني أن أبلغه بالأمر ؟ وأخبر "جوناثان" ؟ إنني أخشاه أيضا لأنه يمقتك .

فقال بصوت هادئ :

- لكنه يحبك ووالدك أيضا . يراودني إحساس بأنهما لن يغضبا .

استعادت "ميشيل" يدها من قبضته :

- هل تعتقد ذلك بحق ؟ هل تحب أن أخبرك على وجه التحديد بما سوف يفكران فيه وما سوف يقولانه ؟ سيقولان: إنك كنت تخطط متعمدا للسخرية مني ، وأنك قد أغويتني وأنت هادئ الأعصاب . وكل ذلك بهدف واحد هو تمزيق أسرتنا . سوف يقولان : إنك استخدمتني كأداة للإمعان في تعويق الانتهاء من العمل بعمارة والدي وإنك ...

- "ميشيل" .

نهضت الفتاة مترنحة وتوجهت إلى درابزين الشرفة تطل منه حتى لا ترى نظرات "إيان" التي تنطق بالعتاب على ما قالت . لكنه نهض أيضا وتبعها إلى حيث كانت حيث أدارها نحوه لتواجهه . صاح فيها :

- يا إلهي ! لائقة لك بي على الإطلاق ؟

خفضت "ميشيل" نظرتها غير قادرة على أن تنظر إلى وجهه . قالت :

www.liilas.com

- لم أتوصل بعد إلى نسيان كل هذه الأقاويل الرهيبة التي ظلوا يرددونها على مسمعي في كل يوم تقريبا . أحاول أن أمحوها من ذاكرتي ، لكن ذلك مستحيل. ولا أنكر حقيقة أنني أفضل سلاح يمكنك أن تستخدمه إذا ما رأيت أن تدمر والدي و"جوناثان" .

فقال بصوت فاتر :

- وتعتقدين أيضا أنني أستخدمك في ...؟

امتلأت عيناها بالدموع وهي تقول معترفة له :

- عندما تأخذني بين ذراعيك لا أشعر بشيء آخر في الوجود سوانا إياك وإياي ... لا يهمني أي شيء من ذلك . لكن ...

- لكنك لا تصدقين أنه ليست لدي نية تدمير أسرتك ؟

رفعت يديها تربت وجهه كي تخفف عنه المعاناة التي تسببت له فيها. استبد به اليأس وهو يواصل تأمله وجهها على نحو جاد .

- أرجوك يا "إيان" أنت الذي رغبت في أن نتكلم . أحاول أن أخبرك بأنه على الرغم من المشاعر والأحاسيس التي تثيرها بداخلي وواقع أنه لن يمكنني قط أن أكن لك أي قدر من الكراهية إلا أنه لا يمكنني أن أنسى ما كانوا قد لقنوني إياه منذ الصغر : إذا كان هذا هو وقع الأمر عليّ أنا بعد كل ما حدث بيننا فلك أن تتصور وقعه على أسرتي ! لن يستطيعا - أبي وأخي - البقاء على قيد الحياة . سوف نقتلهما .

جذبها "إيان" بعنف إلى صدره . رفض - حتى تلك اللحظة - مواجهة واقع أن ما أحسه كل منهما تجاه الآخر من الممكن أن يستمر بعيدا عن أسرتيهما وقد جاءت اللحظة المناسبة لأن يقر بذلك. تشدهما علاقات دماء وحب إلى معسكرين يسود بينهما عداء قديم. فهما يتناحران على مدى بضعة قرون من الزمان ولم تقم علاقة واحدة جيدة منها - بهدف الحرص على استمرارها- ببذل أدنى جهد لوضع نهاية لتلك الحرب .

لن يتبرأ والده منه ولن يحرمه من ميراثه لكن علاقته به سوف تصبح مشوبة بالمرارة ومذاق الخيانة . أما والد "ميشيل" وشقيقها فلن يقبلا قط أن يكون "إيان" شريكا لحياة الفتاة .

قال هامسا - وشفتاه تقبلان شعرها الحريري - :

- سوف نهتدي إلى وسيلة نضع بها نهاية لهذه الحماقة . لابد أن نتوصل إلى مثل هذه الوسيلة .

استسلمت "ميشيل" كلية إلى هذا التوكيد المريح . أصبح التراجع مستحيلا بكل المقاييس . أزاحت كل هذه الأفكار الغامضة إلى موقع ما من ذهنها واستعادت إحساسا حادا بكل مشاعرها نحوه . علمت أن الرغبة التي تحتويها ذات طابع لا يبشر بالأمل. لكن لا يمكنها الشفاء منها لكونها الشيء الوحيد المؤكد لديها من العالم أجمع . قالت بصوت هامس :

- أريدك .

وإذ كانت رغبته تفوق توقها إليه لم يسعه سوى أن يتمتم وهو يسعى إلى شفتيها :

- "ميشيل" .. "ميشيل" ...

www.liilas.com

الفصل السادس

تساءلت "چاكي" بصوت شابته نبرة توتر:

- هل تحدثت مع "چوناثان" في هذا الأمر؟

انقضت ثلاثة أيام تحينت الصديقتان بعدها فرصة تغيب "إيان" - الذي كان قد ذهب إلى قلعة فرنسا للوفاء بموعد مع أحد عملائه- لتتناولا غداءهما معا بشرفة الفندق . لم تتوفر لدى أي منهما شهية قوية للطعام وبدا الحوار بينهما فاترا مملا . حنت "ميشيل" رأسها و هي تقول :

- حاولت لكنني ... لكني لم أستطع.

- وما نهاية ذلك يا "ميشيل"؟ لا حكمة في ذلك..

أجابتها الفتاة بصوت مرتعش:

- لو كنت تعتقدين أنني لا أحسب لخطورة هذا الموقف حسابا فانت مخطئة"چاكي" إنني شديدة الخوف مما يفعله هو أو أبي إذا ما علما :

- وهل من الضروري أن يعلما ؟

- بالتأكيد خاصة وأن الأمر لا يقتصر على كونه مغامرة!

التفتت "چاكي" تنظر إلى عيني صديقتها البراقتين.

- وهو كذلك . وماذا يقول "إيان"؟

- حاولنا مناقشة الأمر بيننا لكننا لم نتوصل إلى أي حل . أيا كان ما نفعله فسوف يسيء ذلك حتما إلى "أسرتينا . لم تكن العلاقات في أي وقت مضى على هذا القدر من التوتر الذي يسودها الآن. يتنافس والدانا للحصول على ذلك العقد الضخم ويبذل كل منهما قصارى جهده. لوضع العقبات في سبيل الآخر. لا أعلم شيئا عما يجري الآن في "أتلانتا" . لكن"چوناثان" مقتنع تمام الاقتناع بان ال "ستوارت" قدموا رشوة إلى بعض المفتشين في محاولة لكسب بعض الوقت لصالحهم .

قالت "چاكي" مؤكدة ببساطة:

- ليست هذه هي المرة الأولى التي يفعلون فيها ذلك.

- هل تعتقدين ذلك بحق؟ هذا هو الجانب المخيف لتلك الكراهية يا "چاكي" وإذا كنت لا ترين ذلك فانت عمياء لا ترين شيئا.

- لكن عم تتحدثين ؟

- عن الأفعال التي لم يقم عليها دليل واحد قط . اتهامات على أحد الجانبين ونفي للاتهام على الجانب الآخر وهكذا دائما . لكنه مؤشر لمعركة خاصة . اتفق معك في أن جميع أهل الجنوب على علم بها لكنها غير معلنة. لا إجراءات ولا أدلة تخدم دعوى . ليس هذا أسلوبنا لاننا نرفض تشويه الآخرين لكننا نواصل كراهيتنا لهم لأن أحدا لم يحاول وضع نهاية لهذه المهزلة.

رمقت "چاكي" صديقتها بنظرة حازمة ثم قالت :

- وعلى حد علمي: إن حبك لـ"إيان" لن يضع لها نهاية. ومن ناحية أخرى ما الذي يؤكد أنه يبادلك حبك بمثله بحق؟

ناقشت"چاكي" الرأي مرة أخرى . أحست "ميشيل" بان ملاحظة صديقتها قد جرحت مشاعرها بسبب إحساسها بضعف لم تعرف مثله من قبل : لأن شكوكها المخيفة أبت إلا أن تلازمها .

قالت "چاكي" تذكرها .

www.liilas.com

- تلك الفاكهة المحرمة ... ربما كانت لديه هو أيضا الرغبة في أن يذوقها .

قالت "ميشيل" هامسة:

- لكن ذلك لا يكفي لدفعه لأن يخوض مثل هذه المغامرة الخطرة .

أجابتها "چاكي":

- وبماذا يخاطر هو ؟ لن يحرمه والده من الميراث .. لأنه الوارث الوحيد لثروته . ومن ناحية أخرى قد يعتقد "براندون ستوارت" أن نساء "لوجان" أهل لمثل هذه التصرفات . ومضاجعتك ابنه يهيىء له سببا إضافيا لدغدغة والدك.

- كفى!

خفضت "چاكي" بصرها ؛ إذ تبينت أنها قد بالغت في إطلاق العنان لأفكارها .

- حسنا . لكن عليك أن توقني أنك تغامرين بالكثير . لن يقبل والدك ولا "چوناثان" علاقة حب تربطك بـ"إيان" . إطلاقا يا "ميشيل" . إنهما يفضلان أن يريا جثة هامدة أمام عيونهما.

نهضت "ميشيل" من أمام المائدة دون أن تنطق بكلمة واحدة وقد فاضت عيناها بالدموع متوجهة إلى حجرتها مثل حيوان جريح يقصد ملاذ عرينه.

أحست بحاجة ملحة إلى "إيان" ... إلى حماية ذراعيه القويتين ودفء جسده طاغي الرجولة . هو وحده الذي يستطيع إراحتها من المعاناة وتبديد الظلمات التي تجمعت من حولها وكادت أن تصيبها بالاختناق.

كانت قد وصلت بمشقة إلى حجرتها عندما فاجأها رنين الهاتف .

"إيان" ! خف لنجدتها؟

- "ميشيل".

سرت في جسدها قشعريرة خوف جمدت أوصالها . لابد أن يكون شيء خطير قد حدث حتى يتصل والدها بها هكذا.

- والدي ؟ ماذا حدث ؟

أجابها "شارل لوجان" بصوت فاتر:

- أصيب "چوناثان" في ساعة مبكرة من صباح اليوم أثناء وجوده بموقع العمل .

سألته وقد استبد الخوف بها :

- وهل إصابته خطيرة؟

- لا أعلم تماما . لم يخبرني الأطباء حتى الآن بأي شيء محدد . كان شبه مغشي عليه عندما نقلناه إلى المستشفى لكنه تمكن من تحديد المسؤول عن إصابته.

قالت الفتاة مرددة وقد احتوتها برودة قاتلة:

- المسؤول ؟ لم تكن إصابته إذن أمراً عارضاً ؟

- يا إلهي .. لا ! ..

هكذا صاح والدها بصوت قاتم أثار فيها مشاعر عنيفة رديئة.

استطرد والدها يقول:

- أمسك "چوناثان" بمخرب متلبسا بارتكاب جريمته وعندما كاد أن يتوصل منه إلى حقيقة دوافعه كاد الجدار الذي كان قد تعرض إلى عملية التلغيم الدنيئة أن ينهار فوقه .

سمعت الآن في صوت أبيها رنين الكراهية:

- كان ذلك الابن الفاسق "إيان" يعتقد أنه بسفره بعيدا عن البلاد يمكنه أن يبعد الشبهة عن نفسه لكن حارس منشآته .

اضطر إلى الاعتراف.

كان "ستوارت" قد خطط لذلك منذ أسابيع مضت وبالأمس اتصل بالرجل المنوط به القيام بالعملية هاتفيا وأبلغه تعليماته بالتنفيذ . لو لم يكن قد توفرت لدى "چوناثان" فكرة عن هذا الأمر ولم يكن متواجدا بالموقع لكانت خسائرنا قد تضاعفت بمقدار عشرة أضعاف .

قالت بصوت خافت بدا أن والدها لم يسمعه:

- لا ...

- أريدك أن تعودي إلى البيت يا "ميشيل".

www.liilas.com

فاجابته هامسة:

- ساستقل أول طائرة.

- ستكون السيارة في انتظارك بالمطار.

أعادت "ميشيل" سماعة الهاتف إلى موضعها وقد ادهشها انها لا ترتعد . أحست بخواء بداخلها وبان أعصابها مخدرة تماما.

سالتها "چاكي" التي كانت قد تبعتها منذ أن غادرت الشرفة:

- ما الذي حدث ؟ إنك شاحبة مثل ميت.

قصت "ميشيل" عليها الحديث الذي دار بينها وبين والدها بصوت خلا من كل تعبير ثم اضافت قولها :

- ينبغي أن أعود.

- أعدي حقائبك وساتصل انا بشركة الطيران . ساعود معك.

لم تحاول "ميشيل" إقناع صديقتها بغير ذلك. مرت الساعتان التاليتان في زحام الاستعداد للسفر ولم تبرحها حالة التخدر التي انتابتها إلا على متن الطائرة المتجهة إلى "اتلانتا" وكي تفسح مكانها لإجهاد واضطراب من الحدة بحيث افقداها القدرة على التفكير.

كان كل ذلك خطا رهيبا . ينبغي أن يكون خطا لأنه يستحيل على "إيان" أن يرتكب فعلا كهذا . لقد اكد لها انه لم يحارب "چوناثان" قط مهما كان موقف هذا الأخير منه .. هل كذب عليها متعمدا؟ هل احتواها بين ذراعيه بهذا القدر من الحرارة في ذات الوقت الذي تامر فيه على أسرتها ؟ لن يمكنها قط أن تحب رجلا على هذا المستوى من الخداع . على أية حال ستظهر الحقيقة في الوقت المناسب .

ومع ذلك لماذا لاذت بالفرار مثل شخص جبان دون أن تترك له رسالة.. دون أن تجرؤ على مواجهته ؟ لأن شكوكها تمزقها .. هي التي يقتلها الأسى من أجل شقيقها والتي لن يراودها اي أمل من الآن فصاعدا في أن تضع نهاية سلمية لهذه الكراهية.

كانت سيارة المنشاة في انتظارهما عند منفذ الخروج بالمطار حيث اقلتهما إلى المستشفى رأسا عبر المدينة الكئيبة التي خيم الضباب

عليها وتساقطت أمطار الخريف بغزارة .. أصبح الفردوس بعيدا الآن.

أقبل "شارل لوجان" لاستقبالهما ببهو المستشفى . بدا طويل القامة قوي البنية يحتفظ في هذه السن - التي تجاوز الستين -بقوام معتدل لايتناسب مع مثل هذا العمر المتقدم . وكان وجهه غليظ الملامح والذي اكتسب سمرة من خلال حياة حافلة بالعمل في الهواء الطلق بعيد الشبه بوجه ابنته ذي السمات الرقيقة الدقيقة والتي لم ترث عنه سوى لون عينيه الرماديتين .

أسرعت الفتاة إلى ذراعي والدها وهي تصيح :

- كيف حال "چوناثان" يا والدي؟

- بخير. رضوض بالجمجمة ومواضع أخرى وتمزق بالرسغ . سوف يغادر المستشفى غدا.

رغم الارتياح الشديد الذي أحسته "ميشيل" على أثر ما سمعته من والدها تاثرت بملامح وجه والدها التي سادها التوتر وبالبريق الجليدي الذي لاح في عينيه مثل الصلب الذي حمي حتى ابيض لونه.

- هل يمكنني رؤيته ؟

- إنه موجود بالحجرة رقم ٤٨٤ . وهو مستيقظ الآن .

وباسلوب الإعجاب الرقيق - الذي طالما اتبعه في حضور الفتيات خاصة إذا ما كن من الحسناوات - قدم "شارل لوجان" ذراعه إلى "چاكي" وهو يقول :

- ما رايك في أن نتناول قدحا من الشاي أثناء زيارة "ميشيل" لشقيقها ؟

- "ميشيل" ! سامحيني إنني قد افسدت لك رحلتك . ما كان واجبا أن يستدعيك والدي .

توجهت الفتاة إلى الجانب الآخر من الحجرة حتى تعانق أخاها الذي غطت رأسه الضمادات ووضع رسغه في الجبس . حملت نفسها على أن تقول :

- لا تكن أحمق.

www.liilas.com

كان "چوناثان" أسمر كبير الحجم ذا عينين زرقاوين فولاذيتي النظرات مثل والده ". كما كان صلب الراي متعجرفا قليلا وسريع الغضب . ورغم الخمسة الأعوام الفاصلة بين عمريهما كان شديد القرب من شقيقته وعلى استعداد دائم لحمايتها بدافع من حبه لها تارة وبإحساس شديد بالمسؤولية الأخوية تارة أخرى.

والحب الشديد التي كانت "ميشيل" تكنه له لم يكن من قبيل الحب الأعمى لشقيقها، فعلى الرغم من أنها قد أصبحت فتاة ناضجة قادرة على حماية نفسها منذ أعوام عديدة من الاضطلاع بالمسؤولية عن نفسها كانت مدركة أن "چوناثان" دائما ما يعتبرها شقيقة صغرى متمردة . قال مبديا ملاحظته:

- لم تكتسبي اللون البرنزي تماما.

- هذا القدر كاف جدا . وبماذا أخبرك الطبيب؟

قال "چوناثان" مزمجرا:

- قربي هذا المقعد واجلسي بجانبي.

أطاعته "ميشيل" دون أن تستطيع إخفاء عصبيتها . قال شقيقها لها:

- لا تحزني هكذا . إنني بخير.

- ما الذي حدث يا "چوناثان"؟

- إنني واثق بأن والدي قد قصه عليك.

- هذا صحيح لكنني أريد سماعه منك.

- ضربت بما سورة بعد ظهر أمس.

- من الذي فعل ذلك؟

- لا أعلم عنه شيئا . مجرد شخص غريب . ربما كان أحد حراس "ستوارت" ظننت أنه يخون ثقته عندما ناداني كي يحذرني من أنه من الأفضل لنا أن نقوم على حراسة العمارة أثناء الليل.

- ومن الواضح أنك لم تفكر في إخطار الشرطة.

تحاشى "چوناثان" نظراتها:

- علمت بمن كان . وكنت أنتظر هذه الفرصة للقبض عليه منذ بضع

سنوات.

- كان من الممكن أن تقتل.

- ليس هذا هو لب الموضوع . قررت أن أذهب إلى هناك بمفردي ودون أن أخبر والدي بشيء من هذا . كنت أشك في أنه سوف يحدث تخريبا خطيرا ، بحثت بدقة في قاعة التحكم في المعدات الكهربائية ثم في بئر سلم المصاعد وهناك قبضت عليه . كان قد وضع هناك بعض المفرقعات لنسف الأسلاك.

- وماذا حدث؟

- ما إن وضعت عليه يدي حتى حل أزرار قميصه . عرضوا عليه تفصيلا - منذ خمسة عشر يوما - ما ينبغي عليه أن يفعله ودفعوا له جزءا من المبلغ نقداعلى أن يسدد الجزء الباقي منه عند تنفيذ الاتفاق. وتلقى أمس الأمر هاتفيا بتنفيذ العملية . كان "ستوارت" من استخدمه.

- وهل هذا الرجل الغريب واثق بذلك؟

- أمر واضح ! يا إلهي يا "ميشيل" لقد ذكره باسمه

أملت عليها خبرتها في مجال البحث أن تتابع معه الموضوع.

- هل ذكر لك كيف تم استخدامه ؟ وهل التقى بـ"إيان ستوارت" شخصياً؟

قطب "چوناثان" حاجبيه:

- لم تسنح لي الفرصة لسؤاله . كانت المتفجرات قد انطلقت وسقط فوقي ذلك الجزء من الجدار . لم أتذكر شيئا بعد ذلك . وعندما خف أفراد الحراسةلنجدتي كان المخرب قد لاذ بالفرار منذ زمن طويل .

رمقت "ميشيل" أخاها بنظرة فاحصة:

- اسمعني يا "چوناثان" . ربما جهة ما أملت على ذلك الرجل أن يقول لك ما قال . كيف تعرف أن مهمة هذه الجهة لم تنطو على إثارة آل "لوجان" ضد آل "ستوارت" قبل أن يكون هدفها هو تخريب المبنى ؟ ربما من أجل هذا أصابوك حتى يحركوك في مجال محدد.

سألها "چوناثان" متحيرا:

www.liilas.com

- لكن لماذا ؟

- تعلم ذلك اكثر مني. عقد "تكترون" تزيد قيمته عن بضعة ملايين من الدولارات . و"آل "لوجان" وآل"ستوارت" هما المقاولان البارزان على مستوى "اتلانتا". لكنهما ليسا الوحيدين . إذا حدث إقصاء لهما فستحل جهة ثالثة محلهما. يعلم الجميع أن والدي "وبراندون ستوارت" يتسابقان لسرعة الانتهاء من الاعمال الموكلة إليهما حاليا . وفي حالة استبعاد منشاتيهما بناء على خلاف يحدث بينهما ستضطر "تكترون" إلى استدعاء جهة ثالثة لتنفيذ مشروعها في الوقت المطلوب.

هز "چوناثان" رأسه:

- انا واثق بان آل "ستوارت" وراء كل هذا .

- "چوناثان" !

- يا إلهي يا "ميشيل" ! لقد حاولوا بالفعل تخريب مشروعاتنا . اشتروا بعض المفتشين بهدف تعويق اعمالنا .

- وكيف عرفت ذلك؟

- أخبرتك قبل الآن بان لدي مخبرا بالمركز.

- وهذا المخبر موثوق به ؟

- لم يخطئ معي قط . وادفع له بسخاء لكي يحيطني علما بالأخبار الأكيدة.

- من الممكن أن يكون مستخدما لحساب شخص آخر يدفع له مبالغ أكبر مما تعطيه انت .

بدأ "چوناثان" يتململ في فراشه . وقال بنبرة توتر :

- لماذا تتحيزين لآل "ستوارت" دائما فرصة الاستفادة بالبراءة لعدم توفر الأدلة الكافية لإدانتهم؟

- ما خطؤهم يا "چوناثان" ؟ ليس لديك اي دليل ضدهم . ولم يكن لديك مثل هذا الدليل أبدا . كل ما لديك هو تقارير مخبرين مخادعين تدفع لهم أجرا ومن الممكن أن يتقاضوا من غيرك أجورا أعلى حتى يقولوا لك ما تامل أن تسمعه منهم . جميع من في "اتلانتا" يعلمون أن

ال "لوجان" وآل "ستوارت" متحفزون على الدوام كل ضد الآخر . عليك أن تعترف بذلك . لكن دون أن تخبرني. أعلم انك لم تقدم بلاغا بالحادثة إلى الشرطة ولا إلى شركة تامين. ليس هذا هو اسلوب الثار لكنه تصرف على المشاع.

- وعلى ذلك.

- وعلى ذلك وعلما بان آل "لوجان" وآل"ستوارت" لن يبحثا قط عن جان خارج الأسرتين من الممكن أن يستفيد طرف ثالث خارج الخصومة من الموقف وهو واثق بان أحدا لن يقلقه أو حتى يتعقبه.

- هذا مضحك!

- أهذا هو رأيك ؟ وهل هناك امر أكثر إثارة للضحك من معركة نشات من مشكلة بسيطة لا يذكرها أحد تستمر لأكثر من خمسمائة عام بعد ذلك؟ وهل هناك امر مضحك أكثر من مطارحة الكراهية لاننا نفترض الكراهية بسبب إملائها علينا ؟

قال "چوناثان" مدافعا :

- إنهم أعداؤنا.

- هل انت واثق بذلك؟

- نعم .. بعد ...

وصمت فجاة فسالتة "ميشيل" في اللحظة التي لاحت بذهنها ذكرى غامضة:

- بعد ماذا ؟ ذكرت لي في احد الأيام عن شيء ما كان قد حدث لوالدي و"براندون ستوارت" منذ مدة طويلة.

- انسي هذا الموضوع . لا شان لك به .

انفجرت "ميشيل" بصوت مرتعش ثورة:

- غير معقول ! انت ووالدي مستعدان دائما لشن حرب شاملة ضد آل "ستوارت" وتدعي أن هذا الموضوع لا يخصني . إنني جزء من هذه الأسرة ويحق لي أن اعرف أسباب كراهيتكما الشديدة لهم. أخبرني بها.

www.liilas.com

أجابها "چوناثان" بنبرة رقيقة.

- وهو كذلك . منذ خمس وثلاثين سنة مضت وقع والدي و"براندون ستوارت" في حب امراة واحدة . لم يذكر والدي لي تفاصيل الموضوع لكن يبدو أن هذه المراة لعبت بالواحد منهما قبالة الآخر . كان والدي غارقا في حبها. أحبها حبا صادقا معتقدا انها تبادله ذات المشاعر . و الأهم من ذلك انه عندما وهبته نفسها ..

- ماذا حدث ؟

هز "چوناثان" كتفيه :

- بعد انقضاء بضعة اسابيع فاجاته بقولها : إنها قد اخطات وانها في الحقيقة تحب "براندون ستوارت" . كانت خطبتها لوالدي قد اعلنت على الملأ تباهى "براندون ستوارت" بهذه الواقعة مثل طاووس مغرور إمعانا في إذاقة أبي مرارة الهزيمة. لا أعلم على وجه التحديد الذي حدث بعد ذلك. ربما كانت هناك مواجهة من نوع ما بينهما . وعلى أية حال تسببت هذه المراة في الإساءة إلى كليهما.

حتى لو ادركت "ميشيل" جيدا مدى الكراهية التي كان من الممكن أن تتولد في والدها تجاه غريم محظوظ في الحب بدت الرواية لها مبتورة غير وافية .

- أو لهذا يمقت والدي "براندون ستوارت" إلى هذا الحد؟

- أو ترين أن كل هذا لا يكفي ؟ لقد أحب تلك المراة يا "ميشيل" وسلبه "ستوارت" إياها.

- هناك أمر مايبدو أنك قد نسيته يا "چوناثان" . والدي ووالدتي متزوجان منذ ما يزيد على أربعة وثلاثين عاما . وهذا يتنافى مع أن يكون كسير القلب إلى هذا الحد .. ما لم يكن قد تزوج والدتنا خداعا . ما قولك في ذلك؟

فقال "چوناثان" مزمجرا:

- لم أطرح عليه هذا السؤال.

- ينبغي أن تطرحه عليه . بل وينبغي على كلينا أن نطرحه عليه .

وعلى أية حال وحتى لو كانت هذه الرواية تكفي لتفسير كراهية والدي لتلك العائلة فإنه لا يترتب على ذلك وجوب أن نكن نحن أيضا لهم العداء بسبب واقعة حدثت قبل أن نولد .

- لكن بعد كل ذلك يا "ميشيل" يحاولون تحطيمنا.

- مرة أخرى ... هل انت واثق بذلك ؟ الايمكنك أن تقدر إمكان أن طرفا آخر خارج هذه الخصومة يحاول استخدام آل "ستوارت" واستخدامنا لتحقيق مصلحة مباشرة ما ؟

أجابها ببساطة :

- قدمي لي الدليل على ذلك وسوف أصدقك . النظريات وحدها لا تكفيني.

نهضت "ميشيل" وهي تخاطبه بنبرة واثقة:

- امر غريب للغاية! لست بحاجة إلى أي دليل يؤكد اتهامك لآل "ستوارت".

رآها "چوناثان" تتجه إلى باب الحجرة دون ان تنطق بكلمة واحدة فسالها بصوت خافت :

- ماذا أصابك؟

التفتت "ميشيل" نحوه من فوق كتفها وقالت :

- ربما كنت غير راغبة في أن أكون "لا موسة".

- ماذا ؟

- "لا موسة" . إنه حيوان ثديي صغير . من المعروف أن "اللاموس" يتجمع بين وقت وآخر عند حافة مستنقع ويجري عملية انتحار جماعي. ربما قد قيل لهم - أيضا منذ بضعة قرون -: إن هذا ما ينبغي عمله..

استغرق "چوناثان" قليلا في النظر إلى رسغه المحاط بالجبس ثم قال بصوت فاتر:

- سوف نرى في البيت غدا يا "ميشيل".

غادرت الفتاة الحجرة مرهقة ثائرة . رأت أن غضبها هذا قد يكون

www.liilas.com

راجعا إلى ... الخوف واليأس اللذين سيطرا عليها في الآونة السابقة . كل شيء من حولها أصبح مصدر ضيق لها : العناد الأعمى المسيطر على والدها . وعمق كراهية "جوناثان". والسلف المجهول المتسبب في هذه الورطة . وجبنها - هي - الذي حال دون أن تخبر "چوناثان" بما حدث في "المارتينيك".

لم تتح الفرصة بأي حال من الأحوال أمامها لأن تخبر أسرتها بما حدث . لكن عليها مع ذلك أن تبذل محاولة في سبيل إيقاف هذه المهزلة . أو تخفيف حدتها على الأقل قبل أن تقع حادثة خطيرة أخرى.. قبل أن يصاب فرد من الجانب الآخر.

كان في نهاية الفترة الصباحية ليوم الغد أن أتيحت لـ"ميشيل" فرصة عرض نظريتها عن هذه الأحداث الأخيرة على والدها الذي كان مثل "چوناثان" تماما في إصراره على عدم الاقتناع بها أو التحول عن رأيه قيد أنملة .

- كفاك حماقة يا "ميشيل". اعترف الجاني لـ"چوناثان".

- ربما شخص ما قد دفع له الثمن حتى يتفوه بهذه الأكذوبة.

- لا .لا . إنهم آل "ستوارت" بالتأكيد . وقد تمادوا في أفعالهم في هذه المرة . كان من الممكن أن يقتل "چوناثان" هذا ناهيك عن الزمن وعن المال الذي يقتضيه إصلاح ما تلف.

سالته وقد أصابتها التعبيرات القاسية التي ارتسمت على وجه والدها بعميق الأسى:

- وماذا تعتزم أن تفعل ؟

فاجابها :

- لا تقلقي.

- لا أقلق ؟ لكن يا أبي...

وتدخل رنين الهاتف في هذه اللحظة.

- أجيبي الهاتف يا حبيبتي . ينبغي أن أرحل الآن لإحضار "چوناثان" من المستشفى . إذا كانت المكالمة لي فاطلبي من المتحدث أن

يعاود الاتصال في غضون ساعتين أو ثلاث ساعات.

- آلو ...

- "ميشيل"!

كاد قلب الفتاة أن يتوقف عن نبضه ثم عاد ينبض بسرعة فائقة حتى كاد أن يرتطم بضلوعها . لا أحد غيره ينطق اسمها. هكذا لكن لم يمكنها الرد عليه خاصة في حضور والدها الذي وقف يرتدي معطفه على قيد خطوتين منها.

قالت بأدب شديد قبل أن تعيد السماعة إلى موضعها :

- رقم خطأ.

- أراك شاحبة جدا . هل نمت جيدا؟

- في الواقع لا . هذه العودة المفاجئة...

- استريحي يا حبيبتي .

ما إن غادر والدها البيت حتى قررت "ميشيل" البدء في التنفيذ. كما حدث في الماضي ستتعرض الحالة الراهنة بين عائلتي "لوجان" و"ستوارت" إلى خرق ما مرة أخرى . كلما أمعنت التفكير في الأمر تأكدت شكوكها بأن طرفا دخيلا يعبث في الظلام، لأنه على الرغم من كافة أوجه الريبة التي تعرضت لها لم يمكنها أن تصدق لحظة أن "إيان" . ذلك الشاب المهذب الذي أحبته من الممكن أن يكون له دور في أفعال التخريب التي وقعت .

أحست بتوق شديد إلى رؤيته والتحدث معه لكن لم يمكنها خوض هذه المغامرة، لأن عددا كبيرا من الناس في عالم الأعمال. ومجتمع "أتلانتا" الراقي يعرفانهما . وعند أدنى فكرة تصل إلى أذني والدها يتفجر الموقف .

توجهت بخطى واثقة إلى الجراج . أملى عليها استعدادها وخبرتها في مجال البحث أن تبدأ بسؤال بسيط تتقدم بعده إلى الأمام.

حيرها ذلك السؤال : من صاحب المصلحة في إشعال نار العداوة بين آل "لوجان" وآل "ستوارت"؟

www.liilas.com

الفصل السابع

جلس "إيان" بالقرب من الهاتف بمكتبه يحاول تهدئة نفسه . احس برغبة ملحة في ان يعاود الاتصال بـ"ميشيل" . تاق إلى رؤيتها والحديث معها لكنه تردد لعلمه باللحظات العصيبة التي تواجهها بين شقيقها الذي كان ضحية حادثة حملت بصمة "ستوارت" بشكل او باخر وبين والدها الذي ما من شك في أنه بصدد التامر للانتقام لنجله .

كاد عقله أن يطير قلقا على "ميشيل" لدى عودته إلى الفندق من موعده المتعلق بالعمل ليتبين انها قد عادت إلى "اتلانتا" فجاة . كانت بضع الساعات التي تمثل زمن رحلة العودة إلى "اتلانتا" كافية لأن تطلعه على ما حدث ، ورفض أن يصدق انها لا ترغب في أن تحدثه . كاد الشك أن يمزقه ومع ذلك ظل يامل في أن ترفض هي بدورها أن تصدق انه المسؤول عن الحادثة التي وقعت لاخيها . لذلك ينبغي تلافي زيادة الموقف تعقيدا مهما كان الثمن .

ساله والده وهو يدخل المكتب :

- متى عدت ؟

- في ساعة متاخرة من الليلة الماضية .

حيث إن "إيان" لم يكن صورة ناطقة لأحد اسلافه من آل "ستوارت" كان من الطبيعي أن يشك والده في ابوته له بقدر بعد شبهه عنهم . أما "براندون ستوارت" فكان اقرب إلى النحافة ذا شعر أسود بدأ الشيب يدب فيه عند السوالف وذا عينين في مثل زرقة البحر وملامح دقيقة كادت أن تتسم بالرقة . اتصف بعدم الاكتراث والهدوء وانه يعالج الأمور بحكمة وبقدر من الفتور مهما بلغ مقدار غضبه ، رجل متعقل من جميع النواحي . تعلم منذ وقت مبكر جدا أن يعامل آل "لوجان" باحتقار لكنه لم ير قط انه من الواجب أن يغرس مثل هذه المشاعر في ابنه. فقد استطاعت زوجته المتوفاة منذ بضع سنوات أن تقنعه بانه من الخطا أن يعلم "إيان" كراهية الآخرين .

وإذ كانت نشاطاتهما من النوع الذي يتجزأ وينفصل بين الحين والحين. شغل الوالد والابن معا مكتبين بالطابق الأخير بإحدى أكثر عمارات "اتلانتا" ارتفاعا لأسباب تنظيمية عملية .

اتخذ "إيان" له مسكنا لا يبعد عن المكتب كثيرا وعاش والده في شقة مزدوجة على مقربة منه وبذلك نشات بينهما علاقة متينة أساسها احترام متبادل وتفهم بديهي كل للآخر .

وعلى ضوء ما كان لهما من تقارب في شخصيتيهما كانت مواجهاتهما قوية وإن لم يتجاوز جدالهما - قط - حدود اللياقة بحال من الأحوال .

سال "براندون ستوارت" وهو يتخذ مقعده من خلف مكتبه الكبير الفخم المصنوع من خشب الصنوبر :

- هل أنهيت مهمتك ؟

- نعم . يامل "هوارد" أن تصله التصميمات بحلول أول العام حتى يبدأ البناء في الربيع .

- تبدو مكتئبا جدا لا كرجل اكتسب مؤخرا عميلا جديدا !

www.liilas.com

- أصيب "چوناثان لوجان" أمس بموقع العمل ...

هكذا أجاب "إيان" رغم علمه التام بأن والده لابد أن يكون قد ألم بتفاصيل الحادثة كاملة .

- مواقع العمل والورش من الأماكن شديدة الخطورة وهذا ما ينبغي أن يعرفه وهو في هذه السن ...

- لم تكن حادثة عارضة .

- ومن المفهوم أنهم يتهمونا ... هذا لا يقلقني لأنه ليست لديهم أدنى فرصة لإنهاء الأعمال في عمارتهم قبل الزمن المحدد لذلك .

سأل "إيان" على نحو مباشر :

- هل أنت وراء كل هذا ؟

- لا بالتأكيد ! مفرقعات ! لي من العقل ما يمنعني من التورط في هذا النوع من أعمال العنف .

- أرجو ذلك من كل قلبي .

سأل "براندون ستوارت" ابنه وهو يفحص وجهه باهتمام :

- أتعتقد أنه من الممكن أن أقترف شيئا كهذا ؟

- أعتقد أنه من الممكن أن تفعل أي شيء تقريبا إذا ما كان الأمر متعلقا بآل "لوجان" . وبذلك ... لا تعلم شيئا ولم تكن حاضرا حدوث شيء .

أجابه الوالد دون توتر باد :

- سبق أن أجبتك . لن أقول لك : إنني مشفق عليهم لكن .. إنني لا أرى في هذه الرواية شيئا غير عادي . أراك غاضبا . لماذا؟

- نجحت بمشقة في أن أتحدث إلى أحد رجال حراستهم المكلفين بالأمن ... أحد الرجال الذين انتشلوا "چوناثان" من تحت الأنقاض بعد وقوع الحادثة .

- وماذا ؟

- قبض "چوناثان" على الجاني متلبسا وادعى ذلك الرجل أنني أنا الذي كلفته بهذا العمل .

- أمر مضحك ! لم تكن في "أتلانتا" .

- دنوت جدا من الحقيقة يا أبي . في رأيي أن هذا الرجل حصل على مبلغ من المال كي يحملني مسؤولية هذه العملية بأن ينسبها إليّ .

- بحق الله يا "إيان" ما لديك ليس سوى رواية "چوناثان" عن الحادثة. من الطبيعي أن يوجه إليك الاتهام . كان بحاجة إلى هذا العذر حتى يحول الموقف إلى حرب معلنة .

حاول "إيان" الاحتفاظ بهدوئه :

- أبي . ألم يخطر ببالك قط أن طرفا ما يمكنه محاولة الاستفادة من المشكلات القائمة بين عائلتينا ؟ وأن دافع ذلك الشخص قد لا يكون إعاقة آل "لوجان" عن التنفيذ والانتهاء من الأعمال وإنما إثارة كل من أسرتينا الواحدة ضد الأخرى بهدف إعاقة كلينا عن إنهاء الأعمال بأي من العمارتين في التاريخ المطلوب ؟

- هذا غير معقول .

- لأنك لا ترى أنه يتفق مع منافسة قديمة مضى عليها خمسمائة عام .

توتر وجه "براندون ستوارت" قليلا ثم قال :

- وإذا أقررنا بصحة نظريتك فماذا تريدني أن أفعل ؟

- طلبت منك ألا تفعل شيئا ... وألا تتدخل في الأمر على الإطلاق حتى لا تزيد الموقف سوءا قبل أن أتمكن من كشف سر هذه العملية .

- لو اعتقدت أن آل "لوجان" سوف يلتزمون الهدوء فأنت مخطئ! سوف يوجهون إلينا ضربة قاسية وأنا لا أقبل ذلك .

بدا "إيان" يتفهم المبررات التي ساعدت هذا العدوان على أن يستمر على مدى خمسة قرون . تتابعت الضربات التي سددت وتلك التي أعيدت على نحو تلقائي وبغير هدى . وبإضافة الكراهية والشكوك إلى هذه الحالة تتألف أكثر دوائر الحقد تعقيدا .

- أبي. يتعين أن يتصدى أحد لهذه المهزلة ويضع نهاية لها .

- هل ترى في نفسك الكفاءة اللازمة ؟

- أرى أن أحاول على الأقل . أن أميط اللثام عن حقيقة هذه الظروف

www.liilas.com

لكنني بحاجة إلى مساندتك .

فكر "براندون ستوارت" طويلا قبل أن يجيبه :

- سوف أشدد الحراسة حول مواقع عملنا وسوف ألزم الصمت التام مؤقتا . هذا كل ما يمكنني أن أقدمه لك يا "إيان" . ولا تتوقع مني أن أقف مكتوف اليدين إذا ما تدهور الوضع .

يمنح هذا الاتفاق "إيان" بضعة أيام من المهلة ليتصرف خلالها . لكن وقبل كل شيء يلزمه أن يرى "ميشيل" .

تأكد منذ بدء علاقتهما أن ما يكنه لها يفوق الرغبة والحرارة لكن حاجزا ذهنيا يحول دون مواجهته الحقيقة . من الصعب أن يتخطى ميراث كراهية وفقدان ثقة على هذا القدر من القدم . وإذا أقر لنفسه صراحة فكرة اشتهائها فإن فكرة حبه لها تبدو له واهية إلى أن فرض هذا الحب نفسه عليه .

عادت "ميشيل" في وقت متأخر من بعد ظهر أحد الأيام من مكتبها - الذي كانت قد توجهت إليه لمتابعة بعض الأمور المتعلقة بالحادثة وإنجاز بعض الأعمال - مرهقة تعاني إحباطا لأنها كانت أشبه بسابح في الظلام .

- "ميشيل" ...

رأت "چوناثان" يهبط الدرج وقد علق ذراعه بشملة . بدا القلق واضحا عليه وكانت هي قد اختارت أن تبقى خارج المنزل طوال اليوم . خاطبته بنبرة رقيقة :

- أليس من الأفضل أن تبقى في فراشك ؟

- لا . أنا بخير . أين كنت ؟

- "چوناثان" ! متى تقتنع أنني لم أصبح طفلة صغيرة بعد ؟

أجابها معاتبا :

- إنه سؤال بسيط يا "ميشيل" أيضيرك أن تجيبيني عليه ؟

- لا . أعتذر عن حدة طباعي . ذهبت أولا إلى موقع العمل . أردت أن أطلع على الأضرار التي حدثت . وأن أحاول العثور على بقايا القنبلة .

فأجابها باهتمام شديد :

- ما كان ينبغي أن تفعلي ذلك . ثم سألها : وهل وجدت شيئا ؟

- بقايا صغيرة لأشياء أشبه بحطام قنبلة زمنية أو شيء من هذا القبيل .

أحس "چوناثان" بتقدير للمعطيات التي أسفرت عنها عمليات البحث التي قامت شقيقته بها رغم أنه لم يكن راضيا قط عن اختيارها لهذا النوع من العمل . إلا أنه لم تسره على الإطلاق فكرة عبثها بالمخلفات التي ينبعث منها الدخان بينما أن مستخدميه يتوقعون أن يشب حريق تلقائي منها . ولا فكرة تعاملها مع أفراد غير موثوق بهم في محاولة للاتصال بشركات التامين بوسائل من شأنها أن ترغمها على الاستجابة لطلباتها .

- لن تفيدك في شيء يذكر .

- على العكس . عملت منذ أقل من ...

قال "چوناثان" بنبرة مرح :

- حسنا ... وبماذا أخبرتك ؟

أجابته بنبرة تنم عن الإرهاق :

- من الناحية العملية والفنية لن نجد الآلة المستخدمة في عملية التخريب إلا على الساحل الغربي لو توفرت لدينا العلاقات الطيبة وقدر كاف من المال لاستعادتها .

- ثم ...

- وقد بحثت ... منذ ما يزيد على العامين لم يتسلم آل "ستوارت" شيئا من الساحل الغربي وما يزيد على ستة أشهر لم تهبط طائرتهم الخاصة على الجانب الآخر لـ"روشيز" ومنذ أشهر عديدة لم يغادر أحد من مستخدميهم "چورچيا" .

- يا إلهي ! كيف اهتديت إلى كل ذلك ؟

- هذا هو عملي يا "چوناثان" أن أتعامل مع الألغاز . وحيث إن شركات التامين تتعاون أحيانا مع الشرطة توصلت بسهولة إلى هذه

www.liilas.com

المعلومات .

- لابد - في هذه الحالة - أن تكوني قد تعرفت على أمر ما هو أن واحدا منهم قد طلب هذه القنبلة الزمنية تليفونيا أو أن يكون قد توجه في طلبها مستقلا طائرة تابعة لخط طيران منتظم .

- لم يكن هناك اتصال تليفوني واحد بالنسبة للساحل الغربي سواء على خطهم الخصوصي أو بالمكتب منذ الصيف الماضي ولا الوالد ولا الابن استقل طائرة بأي من الخطوط المنتظمة منذ ما يزيد على عام .

- لابد أنهم قد بعثوا بمندوب عنهم .

- ولماذا يفعلون ذلك ؟

ولماذا يتصرفون على هذا النحو المضحك .. ويستخدمون بعد ذلك فنيا يعرف اسمهم ؟ لا معنى لكل ذلك . وشيء آخر يا "چوناثان" من الذي أخبرك بذلك ؟

- كيف تريدينني أن أعرفه ؟

- ألم تسأل نفسك ؟ ألا تجد هناك غرابة في أن شخصا ما قد حذرك سابقا ؟

- ربما أحد مستخدميهم قد انتابه خوف مما سوف يحدث .

- تعلم جيدا أن مستخدميهم دائما ما كانوا بعيدين كل البعد عن مجال منافساتنا . ومن ناحية أخرى فإن استئجار الفني ليس من سمات آل "ستوارت" .

توجه "چوناثان" إلى ركن المشروبات بحجرة الاستقبال ليعد لنفسه كاسا . أما "ميشيل" التي أحست للمرة الأولى في حياتها أنها قد نجحت في زعزعة ما اعتقده فقد تبعته إلى تلك الحجرة وجلست فوق المسند الجانبي لأحد المقاعد الجلدية الفخمة .

خاطبته بنبرة تصميم :

- "چوناثان" طريقة التخريب التي وقعت تتنافى مع أسلوب عمل آل "ستوارت" كما تتنافى مع أسلوبنا أيضا . حقيقة أن عائلتينا ظلتا متناحرتين على مدى خمسمائة عام لكن لم تبلغ العلاقة بينهما حتى

الآن هذا الحد من الخبث والإيذاء . ظهرت في بعض الأحيان على هيئة أساليب حائرة وفي أحيان أخرى مجانبة القانون والشرعية . لكنها لم تسلك أبدا أساليب العنف واقتراف الجرائم . ودائما ما كانت القاعدة المفضلة هي عدم إقحام الشرطة.

أصغى "چوناثان" إليها باهتمام ونظرته مركزة على كأسه . قال أخيرا:

- حسنا جدا . سأقوم ببحث الأمر من جانبي . ربما تكونين غير مخطئة . من الممكن أن يكون هناك من يرغب في الفوز بعقد "تكترون" . لا يوجد بـ"أتلانتا" سوى بعض المقاولين الذين يمكنهم تنفيذ هذا العمل . يتعين أن التقي بهم في مقار أعمالهم في غضون بضعة أيام .

كبحت الفتاة تنهدا :

- ووالدي ؟ هل يمكنك أن تحول دون اقترافه حماقة ؟

- سوف أحاول .

تنهدت الفتاة ارتياحا وهي تقول :

- شكرا لك على ما توصلنا إليه من نتيجة.

نظر شقيقها إليها من خلال عينين طارفتين كما لو كان يحاول أن يفهم معنى ما تقول . سألها :

- ما الذي حدث لك ؟

أحست "ميشيل" بأنها أشبه بوعاء شفاف يفضح ما بداخله . ولم تكن هذه المرة هي الأولى التي تتحقق فيها من أن بوسع شقيقها أن يقرأ ما بوجهها . والأكثر من ذلك أنه من المؤكد أنه أصبح يشك في أن شيئا خطيرا قد انتابها حتى تنبري للدفاع عن آل "ستوارت"، ومع ذلك رأت أن اللحظة المناسبة للإفضاء لشقيقها بهذا السر لم تحن بعد . أجابته :

- سبق أن قلت لك : إنني لا أريد أن أكون "لاموسة" الأعوام الخمسمائة مدة طويلة جدا .

كان "چوناثان" بصدد أن يطرح عليها سؤالا آخر عندما سمعا رنين الهاتف . قالت له :

www.liilas.com

- لا تتحرك . سوف أجيبه .

- "ميشيل" . لا تضعي السماعة . هكذا قال "إيان" عند سماع صوتها .

احتوتها موجة من المشاعر اختلط فيها الحب بالمعاناة وبالخوف فلم يسعها سوى أن تغمض عينيها .

- "ميشيل" ارجوك . حدثيني .

قالت متنهدة على أمل ألا يكون شقيقها مصغيا من حجرة الاستقبال :

- لا . ليس الآن .

- حبيبتي . أؤكد لك انه ليس أنا .

- أعلم .

- لابد من أن أراك .

- هذا مستحيل .

- لنلتق في مكان ما . الآن .

- ليس بوسعي .

قال بهدوء :

- في هذه الحالة سوف آتي واقرع ناقوس بابك .

علمت على ضوء حالته النفسية التي تعرفت عليها من نبرات صوته انه يعني ما قاله . فضلت "ميشيل" أن تذعن إلى طلبه خاصة وانها لم تصبح قادرة على فراقه مدة أطول .

- حسنا . أين ؟

- ٣٢٤ "ساوث هايلاند" . سوف أنتظرك بالمدخل .

أعادت الفتاة السماعة إلى موضعها وهي تحاول أن تبدو طبيعية قدر استطاعتها أمام شقيقها الذي قالت له من عند عتبة الباب :

- ينبغي أن أغادر البيت الآن . أخبر والدي و"ليونا" انني لن اتعشى هنا .

كانت "ليونا" هي مدبرة منزلهم .

- إلى أين تذهبين ؟

- إنك دائم القلق يا "جوناثان" . إلى اللقاء .

ودون أن تترك له مزيدا من الوقت لمواصلة استفساراته أخذت معطفها وحقيبة يدها وأسرعت إلى الخارج . لم تستغرق رحلتها بالسيارة أكثر من نصف الساعة . كانت العمارة الحديثة التي أوقفت أمامها سيارتها الـ"كوچار" في حراسة أحد رجال الأمن المتخصصين وكان جالسا من خلف مكتب بالبهو شديد الإضاءة.

وجدت "إيان" واقفا مع الرجل يتحدث إليه وما إن رآها تدخل من الباب حتى أسرع إليها . ارتدى عندئذ بنطلونا اسود اللون مع قميص ابيض مشمر الكمين ومفتوح الياقة . فتنتها اناقته ورشاقة خطوته . بدا هادئ الملامح حزين النظرات . أخذ يدها دون أن ينطق بكلمة وقادها نحو المصعد بينما استغرق الحارس في قراءة إحدى المجلات .

وبينما كانا في المصعد سيطر على "ميشيل" إحساس بالسلام وبالثقة لرؤية يديهما متشابكتين . ظلا ملتزمي الصمت وإن كان انطباعها أنها صاعدة إلى الفردوس . توقف المصعد عند الطابق الرابع .

ما إن أغلق باب شقته من خلفهما حتى ضمها "إيان" إلى صدره بكل قوته . بادرها بقوله بصوت أجش :

- لم تصدقي ! لم تصدقي ما قيل !

قالت معترفة له :

- كانت تساورني بعض الشكوك أثناء رحيلي من "المارتينيك" . بدا من حديث والدي انه واثق تماما مما قال ! لكنني تأكدت بعد لحظة تفكير أن ذلك مستحيل وانك لست الرجل الذي يقدم على مثل هذا الفعل .

عانقها "إيان" بحرارة قبل أن يهمس لها :

- عندما وضعت السماعة هذا الصباح انتابني خوف شديد .

أجابته بقولها :

- كان والدي قريبا مني ...

أطال "إيان" نظرته البراقة إلى عينيها قبل أن يقول :

- أعلم أنه ينبغي أن نتحدث لكن رغبتي شديدة إليك الآن .

أحست "ميشيل" بأن ساقيها توشكان أن ترتخيا بينما تسارعت دقات

www.liilas.com

قلبها . تركت حقيبة يدها تنزلق من فوق كتفها وطوقت عنق "إيان" بذراعيها . قالت هامسة :

- وأنا كذلك .

حملها فوق ذراعيه ودخل بها حجرته . منذ المرة الأولى - التي وهبته فيها نفسها دون ما قيد أو شرط - وضعته في حالة لا نظير لها . وحيث إنها لم تعرف رجلا من قبله أحس بأنها قد اختزنت كل هذه السعادة له وحده . وبإصرار على مدى هذه السنوات مما بعث بداخله إحساسا بالفخار والاعتزاز بنفسه .

ما إن أنزلها بجوار الفراش حتى امتدت يداه إلى رأسها تنزعان منه الشريط الأنيق الذي أبعدت به شعرها عن وجهها بينما انشغلت هي بحل أزرار قميصه ...

همس لها في ذروة البهجة بصوت كاد ألا يتعرف عليه :

- "ميشيل" ... أحبك .

ثبتته بنظرة - من عينيها غير المصدقتين لما يجري بينهما - أثارت فيه إحساسا حال دون تحمله نظراتها التي قرأ فيها أحاسيس جياشة مذهلة ومخيفة كتلك التي يكنها لها .

قالت - وهي تحكم تطويق عنقه بذراعيها وتقدم إليه شفتين ناضرتين- :

- وأنا أيضا أحبك. يخيل إلي أنني كنت دائما أكن لك هذا الحب...

كانت "ميشيل" قد أخطأت عندما ظنت أنها لن تعرف اتحادا بمثل قوة وعظمة ما كان في "المارتينيك" لأن اعتراف كل منهما بعمق حبه للآخر حطم جميع الحواجز المعنوية السابقة التي كانت تفصل بينهما . احتوتها موجة ابتهاج عارمة فتدفقت دموع السعادة في عينيها ونطق لسانها بكلمات الحب الخافتة لقاء ما تقبلت أذناها .

كانت الرغبة فيما سبق قد جمعت بينهما برباط ود حميم لكن ... هذا هو الحب ... أرق المشاعر البشرية وأقواها ... الذي يتكلم الآن ويأمر بإقامة جسر عملاق من فوق تلك الهوة العميقة التي نجحت خمسمائة

عام في حفرها وتعميقها .

استلقيا يضم كل منهما ذراع الآخر في حجرة النوم خافتة الإضاءة يتعجبان لذة ما دار بينهما . رفعت "ميشيل" رأسها من فوق كتف "إيان" لتقول :

- من الأفضل أن أتناول الحبة ...

- أنت محقة دون شك . يفارقني عقلي كلية عندما أقترب منك .

أجرت "ميشيل" بعد عودتها من "المارتينيك" بعض حسابات تتعلق بدورتها الصحية ورأت أنه من الواجب أن تتخذ إجراء وقائيا ضد الحمل وإن كانت تلك الحسابات قد أسفرت عن احتمال حدوثه بالفعل .

ورغم المشاكل التي من شأنها أن تترتب على مثل هذه الظروف تمنت منذ بدء علاقتها بـ"إيان" أن تحمل في أحشائها جنينه الذي تريده أكثر من أي شيء آخر في الوجود ولا تسمح لأي ظرف مهما كان أن يزعزع فيها هذه الرغبة .

سألها "إيان" وقد بدا وجهها غاية في الرقة والهدوء :

- فيم تفكرين ؟

على الرغم مما أضفته الرغبة على وجهها من فتنة أضافت هذه الحالة المزاجية إليها سحرا خفيا . رفرفت على شفتيها ابتسامة نشوى واحتوتها حالة من الهدوء الشامل . قالت :

- ليس من المستبعد أن أكون حاملا . هناك احتمال قائم .

احتقن حلق "إيان" وهو يطبع على صدغها قبلة حانية . تساءلت للمرة الأولى: عما إذا لم تكن قد أهملت متعمدة تعاطي عقار وقائي على أمل خفي بأن تحمل هذا الجنين ؟

قال :

- أعلم أن مشكلاتنا لن تحل أبدا ، لكنني لا أقبل فكرة أن تضيعي مني. تزوجيني .

همست "ميشيل" وقلبها يخفق فرحا ودون ما تفكير فيما سوف يكون عليه رد فعل أسرتيهما :

www.liilas.com

- نعم .

ظلا صامتين فترة طويلة يتلذذان بمذاق سعادتهما وحسن طالعهما .

قالت "ميشيل" بعدها بنبرة أسف :

- انقضت بضع ساعات على وجودي هنا معك ...

- لا أريدك أن ترحلي !

- ولا أنا . لكن علينا توخي الحكمة يا "إيان" . تعلم ذلك جيدا .

- نعم . لكنني أصبحت لا أحتمل الاختباء مثل مراهق خائف من توبيخ أبويه . لا أريد أن تظل علاقتنا سرية ولا لقاءاتنا في الخفاء .

- ولا أنا يا حبيبي . لهذا يتحتم علينا أن نضع نهاية لهذه الحرب أو أن نثبت للجميع أن طرفا غريبا هو الذي قام بذلك الفعل.

- وإذا لم نتوصل إلى شيء من هذا ؟

- أتزوجك غدا لو عرضت عليّ الزواج وأعيش في أي مكان كان مادمت أنا معك رغم ما تمنيته دائما من ألا أسبب جراحا لوالدي و"چوناثان" .

- وبهذه المناسبة . كيف حاله الآن ؟

- غادر المستشفى . استطعت تقريبا إقناعه بأن شخصا ما وراء ذلك التخريب الذي حدث لكنه لم يفهم شيئا عن دوافعي لمحاولة إقناعه .

- هل تراوده أية شكوك عن موضوعنا ؟

- هم ... يطرح أسئلة . وأتساءل: ماذا سيكون رد فعله ؟ مر أسبوع كامل وكنت أعتقد أنه سوف يحمل مسدسه لكن ...

- لكن ماذا ؟

- لدي انطباع بأنه متمسك بكراهيته دون أن يحسها بحق .

قال "إيان" مفكرا :

- إنها العادة .

- ومن جانبي بدأت عمليات البحث .

- هل اهتديت إلى شيء ؟

أحاطته "ميشيل" علما بموجز أبحاثها ثم تحدثت معه بعد ذلك بشأن

آلة التحكم التي استخدمها الجاني .

- أعلم أنها ليست عنصرا مهما في الموضوع لكنها تجلب من الساحل الغربي ... من "كاليفورنيا" على وجه التحديد وأنها باهظة الثمن .

قال "إيان" :

- هذا غريب . لماذا اختار ذلك الشخص الذي حاول إشعال نيران العنف بين أسرتينا أن يستخدم آلة تحكم لا يمكن لأي منهما الحصول عليها بسهولة مع أن في متناول كلتيهما أي عدد تطلبانه من أصابع الديناميت ؟

- هذا ما يحيرني أيضا . لو كان هدفه هو نسف الموقع كان من الأفضل له أن يستعمل آلة عادية لا واحدة كتلك .

- أتعتقدين أنه بإمكانك تتبع المشتري ؟

ترددت "ميشيل" قليلا ثم قالت :

- ربما . لكن ذلك يتطلب وقتا لشركة التامين التي أعمل بها بفرع "لوس انچيلوس" وأعرف شخصا هناك مدينا لي بخدمة .

قال "إيان" :

- حسنا جدا . ومن ناحيتي سأقوم بعملية بحث في "أتلانتا" . إذا ثبت أن أحد منافسينا وراء كل هذه الأحداث فسيكون عدد كبير من الناس على علم بالأمر .

قالت "ميشيل" :

- سوف يستغرق ذلك وقتا طويلا أيضا . حصلت من "چوناثان" على وعد بأن يمنع والدي من ارتكاب أي عمل انتقامي لكنني أخشى على ضوء حالته الراهنة أن يخفق في السيطرة عليه . لذلك يلزم سرعة التصرف .

www.liilas.com

الفصل الثامن

صمت "إيان" طويلا ثم تنهد من أعماقه . قال :

- إنك محقة فيما تقولين واتفق معك فيه . لكنني لا أعلم متى يمكنني احتمال عدم رؤيتك يا "ميشيل"؟

كانت الفتاة تعاني فكرة الانفصال عنه أياما طويلة إن لم تكن أسابيع. لكنها أرادت أن تثق بانه لابد أن تكون هناك وسيلة ما لئلا يؤسسا سعادتهما على انقاض أسرتيهما. قالت معترفة :

- لن يكون ذلك سهلا خاصة في غياب دليل على بلوغنا أهدافنا. ومع ذلك لا يمكننا المخاطرة بأن نرى معا حتى من شخص واحد لأنه سيكون كافيا لإعلان الأمر على الملأ .

ضغط "إيان" فكه على شعرها الحريري وقال :

- حسنا جدا .

سألته :

- ووالدك ؟ ماذا سيفعل عندما يعلم بحقيقة العلاقة بيننا ؟

- لا أعلم بصدق . لن يسعد بذلك وهذا ما لن أقبله ... لكنه على استعداد الآن لأن يعترف بان طرفا ثالثا خارج الأسرتين هو المتورط في هذه العملية بعدما تاكد بنفسه أن أحدا من جانبنا غير مسؤول عن هذا الانفجار . لا يحب أن يستغله أحد . وهذا أمر في صالحنا . سوف أواصل محاولة إقناعه .

قالت "ميشيل" :

- لو استطعت أن أكسب "جوناثان" إلى صفنا فسوف يساعدني على إقناع أبي .

ثم أضافت بنبرة أسف :

- تاخر الوقت يا "إيان" ينبغي أن أعود .

داعب ريح خفيف وجهيهما عندما بلغا مدخل العمارة التي يقطنها "إيان" . اصطحبها حتى سيارتها وهناك بادرها بقوله :

- هذا مفتاح لشقتي تحسبا ...

فاجابته بنبرة مزاح لم تنجح في أن تخفي معاناتها كلية :

- تحسبا لأن يطردني والدي من البيت؟

ربت "إيان" وجنتها وهو يقول :

- لا يمكننا - قط - أن نتكهن بما عساه أن يحدث يا حبيبتي . أريد أن يكون باستطاعتك أن تاتي إلى بيتي في أية لحظة تشعرين فيها بالحاجة إلى ذلك .

- وهو كذلك يا حبيبي .

كان هناك أمر آخر يسبب قلقا لـ"إيان" . وجه نظرته إلى عينيها وقال بنبرة حادة :

- توخي الحكمة يا "ميشيل" . من الآن فصاعدا أصبح لعائلتينا عدو يبغي إيذاءهما .

اقشعرت "ميشيل" خوفا : تخيلت فجاة السمات الشرسة لذلك العدو القاسي المجهول القادر على أن يضع متفجرات في أي من موقعي عمل الأسرتين ويسقط ضحية تلو الأخرى . قالت وهي تدير محرك سيارتها:

www.liilas.com

- سوف اتصل بك هاتفيا إذا وجدت اي شيء ...

- اتصلي بي على أية حال . سوف افقد صوابي إذا لم أسمع نبرة صوتك الجميل . وقبل كل شيء ... لا تنسي قط انني احبك .

وبعد أن أغلق لها باب السيارة من الخارج قذف إليها بقبلة بيده بينما انطلقت بسيارتها متعجبة انه لم يحاول أن يخفي عنها حقيقة مشاعره .

أوقفت "ميشيل" سيارتها فوق منحنى الممر المؤدي إلى منزل "لوجان" العريق . كان هناك مصباح واحد موقد بالرواق بينما سبح بقية المنزل في ظلام دامس . اتجهت ببطء وهدوء نحو الداخل وكانت بصدد وضع قدمها فوق أولى درجات السلم عندما سمعت صوت "چوناثان" منبعثا من عمق حجرة الاستقبال يبادرها :

- ألم تتاخري في العودة ؟

توقفت "ميشيل" في مكانها تكبح رد فعل مضادا وتنتظر لحاقه بها عند قدم الدرج . لم تسمح لنفسها في ظل هذه الظروف أن تلومه على مغالاته في فرض حمايته عليها . قالت بنبرة هادئة :

- رفعت الوصاية عني منذ أن بلغت العشرين . وليست هذه هي المرة الأولى التي أعود فيها بعد منتصف الليل .

قال أخوها وهو يرمقها بنظرات استفهام ثاقبة :

- هذا صحيح .

تولد لدى "ميشيل" انطباع بانه يتحرق شوقا إلى أن يعرف منها من اين عادت لكنه لا يامل في أن يسمع منها ردا . حرصت على أن تحتفظ بنبرات صوتها هادئة وهي تقول له :

- بذلت كل ما بوسعي للكشف عن ذلك الشخص الذي دبر عملية التخريب . ذلك المخبر الذي تعرفه بديوان الحكومة ... أحب أن أتحدث معه .

أجابها "چوناثان" :

- إنه في عطلة .

فقالت معلقة :

- حقيقة ... أمر طبيعي .

- أخيرا يا "ميشيل" عطلة مدى الحياة !

- في نوفمبر ؟

تردد "چوناثان" قليلا قبل أن يقول :

- لا . في أغسطس . وقبل أن تطرحي السؤال علي : لا أعلم ما إذا كان قد طلبها هذا العام لانني لم أكن بحاجة إلى خدماته في الصيف الماضي.

- وهل أخطرك بقيامه بهذه العطلة ؟

- لا . طلبته هاتفيا في بيته هذا المساء فاجابتني زوجته التي افادتني بانها راحلة للحاق به .

رات "ميشيل" أن هذه العطلة تتوفر فيها عناصر الكارثة . لم يرق لها ذلك أبدا وعلى الإطلاق .

- "ميشيل" ...

أحست الفتاة أنه يوشك أن يطرح عليها ذلك الاستفسار الذي تخشى أن تسمعه منه لهذا أسرعت تقول :

- ربما يمكنني العثور عليه .

- سوف يفقد وظيفته إذا بدأت استفساراتك عنه .

أجابت "ميشيل" التي لم تحمل للمخبرين الكثير من التقدير:

- سوف اتوخى الحكمة . وأؤكد لك انني سوف أتمكن من كشف الحقيقة يا "چوناثان" . كان من الممكن أن تقتل ولا يعلم سوى الله ماذا أيضا من الممكن أن يحدث ...

سالها شقيقها :

- وهل أنت واثقة بحق أن شخصا ما من خارج أسرة "ستوارت" هو المتورط في هذا العمل ؟

- كل الثقة . إنني بحاجة إلى اسم مخبرك هذا وإلى كل التفاصيل الممكنة عنه . سوف نتحدث في الأمر صباح غد .

www.liilas.com

- حسنا . تصبحين على خير يا "ميشيل" .

- تصبح على خير.

لم تعرف ذلك الذي رآه "جوناثان" حتى لحظة توجهها لغسل وجهها من زينته حيث نظرت إلى مرآة الحمام . عندما غادرت البيت قبل بضع ساعات كان شعرها منتظما في خصلة شاملة كالمعتاد . لكنها كانت قد نسيت إعادة تصفيفه عندما غادرت شقة "إيان" . فلم ينسدل شعرها حول وجهها فحسب لكنه بدا مشعثا تماما بفعل عبث "إيان" به .

سوف يطرح "جوناثان" عليها ذلك السؤال الذي يشغل باله عاجلا كان أو آجلا وسوف تضطر إلى الإجابة عليه ... آجلا أو عاجلا ...

كان هناك ستة من مقاولي "أتلانتا" ممن يعتبرون أكفاء للاضطلاع بمشروع كذلك الذي يغطيه عقد "تكترون" . وعلى ذلك كان يتعين على "ميشيل" تقصي ما إذا كان أحد هؤلاء بسبيله إلى تجميع أو تركيب معدات أو مهمات أو استخدام أيد عاملة تليق بمشروع كبير ، كما كان عليها أن تبحث حتى تقف على أولئك - من بينهم - القائمين بالفعل بتنفيذ مشروعات كبيرة حتى تستبعدهم من مجال استقصائها . وكان ينبغي عليها أيضا جمع المعلومات اللازمة عن أصحاب تلك المنشآت حتى تتعرف على من يتميزون بالطموح أو بالاندفاع الشديد وراء الكسب منهم فتولي شأنه عناية خاصة .

أجرت كذلك اتصالا بـ"ستيف أستون" زميلها بالساحل الغربي حيث طلبت منه محاولة الاهتداء إلى مشتري آلة التحكم المذكورة. ومع ذلك ورغم المجهود الذي بذلته في عملية التقصي التي قامت بها ورغم عودتها إلى عملها بدت الأيام لها وكأنها لا تنتهي .

انقضت أربعة أسابيع دون أن تكشف لا هي ولا "إيان" عن جديد . تصاعد التوتر بينهما حتى كاد أن يكون محسوسا في مكالماتهما الهاتفية المقتضبة . ولم تكن حالة التوتر التي أصابتهما راجعة إلى الإحباط المترتب على عدم استطاعتهما اللقاء فحسب بل إلى الخوف من تدخل جديد من جانب المخرب .

كان شعاع الضوء الوحيد الذي أضاء نهاية تلك الأسابيع المظلمة هو تأكد حملها . وكان فرحها بهذا النبأ يجمع بين الحلاوة والمرارة في ذات الوقت ... امتزجت فيه السعادة الكاملة - التي تحسها امرأة تتوق بكل كيانها إلى إنجاب هذا الطفل - بالأسى الناشئ عن عدم قدرتها على أن تنسى أن هناك في الظلام عدوا مجهولا قادرا على أن يحطم كل ما تحبه.

كان هذا النبأ من الأهمية بمكان بحيث يتنافى مع إبلاغه هاتفيا لهذا قررت "ميشيل" أن تحجبه عن "إيان" حتى لحظة لقائهما .

لم تأت الردود التي وردت في النهاية إلا بقدر إضافي من الإحباط . إذ لم تؤد إلا إلى مزيد من الاستفسارات . وأفاها "ستيف" على جهاز الكمبيوتر بقائمة بأسماء جميع من حصلوا على مثل هذه الآلة على مدى الستة الأشهر السابقة دليلا على أنه قد أنجز هذا العمل على أكمل وجه .

اتصلت هاتفيا به على الفور :

- أشكرك على هذه المعلومات .

- أخبريني بما إذا كانت القائمة التي أرسلتها إليك توضح لك ما تطلبين .

قالت :

- لست واثقة بذلك بعد لأنني قد تبينت من البحث فيها أنه من بين الأسماء الثلاثين التي تضمنتها القائمة سبعة وعشرون اسما خاصا بقاطني الساحل الغربي ممن يعملون في مجال الهدم بصفة قانونية. يخيل إليّ أنه لم يمكنك الاهتداء إلى عناوين الأسماء الثلاثة الأخرى ؟

- هذا صحيح . وقد تكون هذه الأسماء غير صحيحة أيضا . اشترى ثلاثتهم آلة كهذه من رجل يبيعها بطريق غير مشروع . ودفع ثلاثتهم الثمن نقدا لدى وصف اثنين من هؤلاء الأشخاص الثلاثة : "جورجينا نورمان" شقراء في حوالي الثلاثين من العمر بدت وكأنها تطلب الموت لشخص ما . و"روبير أندروز" وهو رجل نحيف وضيع من بيئة مهربين

www.liilas.com

بالتاكيد هذا هو رأي البائع فيه على أية حال .

سألته "ميشيل" وهي تنظر إلى ثالث الأسماء على شاشة جهاز الكمبيوتر :

- و"نيكولاس سميث" ؟

وأجاب "ستيف" متعجبا :

- الأمر مشكلة بالنسبة له . يؤكد بائعنا اللعين أنه لا يذكر هذا الرجل على الإطلاق . لكنني أود أن أخبرك بصدق أنه يبدو عليه بحق أنه تلقى ثمنا مقابل صمته . أتعتقدين أن الرجل الذي تبحثين عنه أهل لأن يكون قد اشترى صمته ؟

قالت "ميشيل" :

- هذا ممكن "ستيف" ... هذا الرجل هل هو على استعداد لأن يتكلم في مقابل مبلغ وفير مغر ؟

- إنه يبيع لمن يعرض ثمنا أكبر . ما حدود استعدادك ؟

- الحدود التي ينبغي سدادها . أبلغني بالمبلغ المطلوب وسوف أحوله لك .

- سوف يتطلب العثور عليه بضعة أيام أخرى لأنه يمارس نشاطه في سيارة ولا يبقى في مكان واحد مدة طويلة .

- في انتظار اتصالك .

- وهو كذلك . إلى اللقاء يا "ميشيل" .

تضاعف إحساس الفتاة بتلك الشكوك حول شخص قادر أن يقدم رشوة في سبيل ألا يعثر عليه . أما بالنسبة لمنشآت "أتلانتا" فكانت قد استبعدت أربعا من بينها لانشغالها بتنفيذ مشروعات تتطلب استخدام كامل مواردها لذلك إذا ما ثبت لها أن المنشآتين الباقيتين لا طاقة لهما للتعامل مع عقد "تكترون" فسوف يتعين عليها عندئذ البحث عن دافع آخر للتخريب .

تحولت الأيام إلى أسابيع وتصاعد الغضب بداخله . لم تسفر أي من الخطط- التي أعدها بكل عناية ، ولا التحركات التي رسمها ونفذها

بمثل دقة لاعب الشطرنج - عن النتائج التي توقعها .

شيء ما يسير في عكس الاتجاه . وردود الفعل على غير المتوقع. كان من الواجب أن تبلغ المعركة الآن ذروتها ويكونون في طريقهم إلى التمزق تحت نظرات عيون المخربين. لكن بدلا من ذلك ظل التوازن غير المستقربين الأسرتين على ما هو عليه متارجحا في صالح الجميع وضدهم في ذات الوقت .

أملى على نفسه احتواء ثورته وهو يفكر طويلا في الوضع الراهن . أهواء القدر الغريبة التي بدأت تتجسد يمكنها بلا شك أن تمد له يد العون . لكنه قرر ألا يستفيد منها إلا بأقصى حدود الحذر والدقة حتى يسدد الضربة القاضية في اللحظة المناسبة .

تولد بداخله انطباع بأن يدا خفية تفسد خطته التي أعدها ورتب لها بإتقان بالغ وترد إليه ضرباته . تأكد من أن ثمة من يخطط للاستفادة من هذا العنصر الجديد - الذي يعتبره بمثابة سلاح - كوسيلة لتضميد الجراح . ليسوا هم دون شك لأنه يستحيل عليهم التغلب على ذلك الذي فعله بهم . لن يمكنها الثقة به قط بعد ما تسبب في إصابة شقيقها . والدليل : أنهم لم يعاودوا الظهور .

تأمل آلة التحكم الموضوعة فوق المنضدة وانتابته ثورة الغضب . يا للدمار ! أصبح مضطرا لخوض مزيد من المخاطر وللتخبط في إحراز أدنى قدر من الحماية . إذا لم يتصرف في هذه المرة فربما كانت هناك ضربة قاتلة . ومن الواضح أن احتمال تدخل الشرطة قائم إذا ما كانت هناك وفيات . ولن يبحث أحد عن الجاني خارج نطاق الأسرتين . لم تسقط أية ضحايا منذ ما يزيد على قرن من الزمان . لقد حانت اللحظة الحاسمة التي تعلمهم سطوة الكراهية.

مثلما حدث في الشهر الماضي بدأ ديسمبر بموجة أمطار غزيرة شديدة البرودة أثارت في النفوس أسى عجزت نوافذ العرض - التي تهيأت بكامل زينتها لاستقبال أعياد الميلاد والمدينة التي بدت سابحة في الأضواء المبهرة - عن محوه أو التخفيف منه .

www.liilas.com

ارتدت "ميشيل" معطفها المصنوع من الفرو في كل صباح حتى تتوجه إلى عملها الذي ترك لها- في هذه الأونة من العام - قدرا من وقت الفراغ كانت تستغله في متابعة عملية التقصي التي اضطلعت بها .

باءت كافة الجهود - التي بذلت في سبيل الاهتداء إلى ذلك المخبر الذي كان "جوناثان" يتعامل معه - بالفشل . نجح ذلك الرجل في الاختفاء عن العيون تماما . ومن خلال متابعتها للمعلومات التي تداولتها بكل دقة أحست "ميشيل" بمشاعر الإحباط تتصاعد بداخلها وكما لو أن شيئا مهما قد ضاع منها .

حضر "جوناثان" في ساعة متأخرة من أحد أيام الجمعة إليها بمكتبها دون ما إخطار سابق. وكان قد رتب لمنع والده من اقتراف عمل انتقامي ضد آل "ستوارت" وفاء لوعده إياها . كانت "ميشيل" آنذاك في شبه مأزق إذ لم ينطبق على أي من المنشآت المنافسة تلك الظروف والمواصفات التي كانت تبحث عنها . بادرها بقوله :

- إنك تعملين كثيرا . لن يمكنك مواصلة مثل هذا الإيقاع . فقدت قدرا كبيرا من وزنك وتبدين من الضعف بحيث أخشى أن أمسك .

كان طبيبها قد قدم إليها نصائح مماثلة لافتا انتباهها إلى أنه لن يسمح لها بأن تفقد أكثر من أربعة كيلو جرامات من وزنها في بداية الحمل . وبناء على هذا الرأى أملت على نفسها تغذية أفضل وقدرا أكبر من النوم . لكنها لم تتمكن من إبطاء إيقاع العمل . أحست مع انقضاء كل يوم بأن كارثة محققة توشك أن تقع وأن عليهم أن يمنعوها وبأقصى سرعة .

قالت :

- حسنا . حسنا . سأعود معك .

- حسنا . وبذلك يمكنك أن تنالي قسطا من الراحة قبل موعد الحفل .

- أي حفل ؟

- ألقي نظرة على نتيجة المكتب . إنها أمسية الحفل الخيري السنوي لصالح الأطفال الأيتام . عيد الميلاد على الأبواب ... اشتريت تذاكرنا

منذ شهرين كما هي عادتنا في كل عام .

- لا أعتقد أنني ...

فقاطعها بقوله :

- هيا . حضورك هذا الحفل سيفيدك . و"جاكي" ستكون هناك أيضا .

تذكرت "ميشيل" على الفور أن "إيان" أحد المعاونين في هذه الأمسية الخيرية في كل عام . من الحماقة أن تفكر في أن تجده في ذات المكان الذي حجزت تذاكرهم فيه دون أن تفضحها مشاعرها لكن رغبتها الملحة في أن تراه وأن تتحدث معه وأن تلمسه وأن تبوح له أخيرا بسرها كانت أقوى من كل اعتبار . قالت:

- وهو كذلك . ووالدي هل يأتي أيضا ؟

- لا . أخبرني بأنه مشغول جدا .

وقفت "ميشيل" أمام المرآة بعد انقضاء ساعتين وبعد حمام دافئ استغرق مدة طويلة : صرف عن عضلات كتفيها وظهرها آلام التوتر. كانت ترتدي قرطها الماسي مضيفة بذلك اللمسة الأخيرة لزينتها.

جمعت شعرها في ذؤابة رقيقة فوق قمة رأسها خرجت منها بضع خصلات رشيقة انسدلت حتى ما فوق كتفها . وأكد ثوبها الحريري اللامع - رمادي اللون راقي الطراز ذو الكمين الطويلين وفتحة العنق العميقة التي اتخذت شكل ٧ - رشاقة قوامها ورقتها.

ونظرا لشدة انشغالها - على مدى أسابيع طويلة بحيث لم تتأمل وجهها في المرآة بعناية - لحظت وللمرة الأولى علامات التوتر واضحة عليه . ومع ذلك وعلى الرغم من نقص وزنها لم تبد عليها معاناة أو إرهاق .

بدت عيناها أكثر اتساعا ووجنتاها أكثر نضرة كما لو كان هناك تغيير داخلي قد تعامل مع مظهرها الخارجي فجعلها أقل نحافة عن ذي قبل .

اعتقدت "ميشيل" أن الطفل الذي تحمله في أحشائها هو المسؤول عن هذا التغيير . هناك من الآن فصاعدا رباط وثيق قائم بينها وبين "إيان"

www.liilas.com

لا يمكن لقوة في الوجود أن تفصمه . الثمر حبهما حياة جديدة ... كيانا بشريا صغيرا ينتمي إلى "لوجان" و"ستوارت" في ذات الوقت . اضفى هذا الدليل عليها قوة تشبثت بها دون انقطاع .

توجهت إلى الصوان لتحضر المعطف الطويل الذي كانت "جاكي" قد حثتها على شرائه في الخريف السابق . وحيث إنها لم تجرؤ قبل هذه اللحظة على أن ترتدي هذا المعطف ذا اللون الأزرق البـاهت وغطاء الرأس المبطن بالفراء الأبيض الذي بدا لها الآن مثيرا وجذابا . وضعته فوق كتفيها دون تردد ولحقت بشقيقها الذي جلس بحجرة المدخل ينتظرها .

أخبرها شقيقها وهما في السيارة بما تكشف له مؤخرا فقال :

- حيث إنه لم يمكنا العثور على ذلك المخبر قصدت صباح اليوم فم السبع . قمت بزيارة إلى أحد المضطلعين بالتفتيش على المعدات الكهربائية ومعي تقارير موقع عليها من مقاولين آخرين تفيد بانه قد قبل بعض الهدايا القيمة مقابل تعطيل العمل في مواقعهم .

- وهل قال شيئا ؟

- عم تتعجبين ؟! لقد اعترف بانه قبل رشوة مقابل تعطيل سير عملنا، تلقى تعليماته هاتفيا . تسلم نصف المبلغ المتفق عليه نقدا ومقدما على أن يدفع له النصف المتبقي عندما يضطر فريق العمل لدينا إلى التوقف تماما . لا يعرف الشخص الذي أقدم على رشوته بالتحديد لكن من خلال حواره معه يعتقد انه ينتمي إلى آل "ستوارت" .

- وهذا غير صحيح ...

فقال "جوناثان" مؤكدا :

- إطلاقا . لا أصدقه .

- لماذا ؟

- لأن ذلك المفتش كانت لديه معلومات أخرى كنت أجهلها قبل لقائي به وعلمني ذلك ألا أكتفي بالنظر إلى ما هو عند قدمي مما حملني على الاقتناع بتورط آل "ستوارت" في الحادثة .

- زدني .

- يبدو أن ذلك يرجع إلى بضعة أسابيع ماضية عندما أعلن عن طريق مكالمة هاتفية بالعربية: أن هناك من يسعى للإيقاع بين عائلتينا . علم الجميع بالنبأ . ففتشوا الموردين أثناء مرورهم بعمال الورش . مبالغ كبيرة دفعت في زجاجات المشروبات لكن الجميع يجهلون من هو صاحب اليد الخفية التي تدير هذه العملية . قيل : إن هذا الشخص يحصل على بياناته من الداخل بصورة أو بأخرى .

- تعتقد أنه قد اشتراهم ؟

أطلق "جوناثان" تنهد إحباط :

- وقد اشترى الباقين أيضا !

- هل والدي على علم بذلك ؟

- حاولت التحدث معه لكنه لم يصدقني . لايزال مقتنعا بأن آل "ستوارت" وراء كل ذلك . ولست واثقا بانه يمكنني منعه مدة طويلة بعد الآن من اقتراف أي فعل يراه .

جزئية أخرى شغلت ذهن "ميشيل" :

- "جوناثان" هل لديك فكرة عن المبلغ الذي انفق في شراء زجاجات المشروبات هذه وفي الرشا ؟

- من المؤكد أنه يقدر بمئات ألوف الدولارات .

- هذا يستبعد بالقطع منافسينا الأخيرين لأن أرصدتهما مجمدة وليست لديهما ثروات خاصة تغطي مثل هذا القدر .

- والآن من ذلك الطرف ؟

- لا أدري لكن يتعين علينا السعي للتوصل إليه .

سؤالان حيرا "ميشيل" : إذا لم يكن متمثلا في إحدى الشركات القائمة فمن من الممكن أن يكون ؟ إذا لم يكن الهدف هو الحصول على عقد "تكترون" فماذا عساه أن يكون ؟

www.liilas.com

الفصل التاسع

قرر "إيان" المعاونة في ذلك الحفل الخيري بهدف وحيد هو رؤية "ميشيل" . كان اضطراره للبقاء بعيدا عنها بمثابة أكبر عملية تعذيب صادفها طوال حياته . لم تفلح محادثاتهما الهاتفية اليومية المقتضبة إلا في إشعال رغبته في أن يراها وأن يكون معها . والأسوأ من ذلك أن الإحباط الذي استبد به كان مصحوبا بقلق دائم بشأن سلامتها منذ أن اقتنع بأن طرفا ما يعمل في الظلام بهدف إيذاء أسرتيهما .

سيطرت عليه ثقة قاطعة لازمته طوال الوقت بانه سوف يفقد صوابه لو حدث أن أصاب "ميشيل" مكروه أو أن ضاعت منه.

لقد أدى ميراث الكراهية الأسرية المر إلى هذه السخافة غير المحتملة. وجد نفسه مضطرا إلى أن يسترق النظرات إلى محبوبته. انتقى له مكانا بالقاعة يمكنه منه مراقبة دخول المدعوين . وما إن رآها تدخل ممسكة بذراع أخيها حتى نسي كافة الاحتياطات التي يتعين عليه اتباعها حفاظا على سرية حبهما وبدأ يلتهمها بنظراته مبهورا برقة

رشاقتها التي أمعن ثوبها اللامع - الذي "حاكى بريقه لون عينيها في إبراز جمالها الفتان- .

لقد فقدت بعضا من وزنها لكنها تألقت بقوة وبثقة بذاتها مكتسبتين حديثا.

واشرقت. وسط كل هذه الضغوط بجمال اشبه بمأساة لا تقدر بثمن.

رآها تنضم إلى صديقتها "جاكي" التي كانت بصحبة رجل أسمر قوي البنية شديد الجاذبية . ورغم افتتانه بـ"ميشيل" . استولى عليه إحساس بسوء المزاج. شيء ما لا يجري وفقا لما ينبغي . شيء ما تحت بصره أو غير ذلك وذلك الشيء كان مزعجا له .

همست "جاكي" في أذن صديقتها:

- "إيان" هنا.

انغمس "جوناثان" و"نيكولاس سولتر" في حوار حول أجهزة الكمبيوتر فلم يدركا بالتالي أن الفتاتين انشغلتا في أمر مختلف تماما.

قالت "ميشيل" التي لم تجرؤ على أن تجول ببصرها في المكان:

- أعلم .

قالت "جاكي" بنبرة مقتضبة:

- أفهم من هذا أن الأمر مستمر بينكما .

كانت "ميشيل" قد اجتنبت صديقتها منذ عودتهما من "المارتينيك".

أجابتها بنبرة تصميم:

- أحبه ويحبني . هل توصلت إلى تفهم ذلك؟

- لكن ماذا عن الانفجار...

- لم يكن هو مدبره ولا والده . "جاكي" هناك من يريد تدمير أسرتينا .

- لكنه جنون!

- صحيح لكنه واقع . هذا هو رأي "جوناثان" أيضا.

اشرق وجه "جاكي" الممتلئ عندما رأت "نيكولاس" يقترب منهما. سألته وهي تمسك بذراعه بالفة:

- ماذا هل بعته جهاز كمبيوتر؟

www.liilas.com

- لا . إنه منتم إلى المدرسة القديمة.

كان "نيكولاس" في ثلاثيناته ذا عينين زرقاوين تضيئان وجها على قدر كبير من الجمال . وقبل أن يلحق به اسمه أحست "ميشيل" بانه قريب الشبه جدا من شخص ما قد تكون قد التقت به يوما ما . وبصفته ممثلا لإحدى كبريات الشركات العاملة في المجال الإعلامي كان له ذلك النوع من السحر الفوري الذي يتصف به العديد من البائعين . لم تبدأ "جاكي" الخروج معه إلا منذ بضعة اشهر لكنها بدت شديدة الولع به. فهمت "ميشيل" - التي تعرضت لإحساس بنوع معين من الضيق - السبب في ذلك هو أن شيئا ما في أسلوب اقتراب "نيكولاس" من صديقته أوحى بانه لا يكاديشعر بوجودها.

قالت "جاكي" معلقة وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة تقطر حبا :

- ستكون أسعد حظا في المرة القادمة.

لم يول "نيكولاس" تلك الابتسامة أية عناية ، لأنه كان بصدد مسح المكان بنظرات شاردة . لكن شخصا آخر اشار إليه على مكانه. وتقدم "جوناثان" منهما وعيناه متجهتان إلى "جاكي" أضاءت نفسية "ميشيل" : شقيقها يحب صديقتها .

فهمت للمرة الأولى السبب في أن شقيقها نادرا ما يقضي وقتا خارج البيت وفي أنه شديد الميل إلى أن يهب عمله كل قوته وحياته رغم طلعته البهية وقوة بنيته وذكائه وسحره. لم يحدث أن اظهرت "جاكي" نحوه أدنى قدر من الاهتمام العاطفي . بل عاملته معاملة الأخ الأكبر فضلا عن كاتم أسرارها . ومنذ أن أسرها سحر "نيكولاس" لم تول "جوناثان" أي اهتمام يذكر. أحست "ميشيل" بوخزة في قلبها . لم تشأ أن ترى ما رأت لأنه لسوء الحظ لا يمكنها أن تفعل شيئا من أجل شقيقها . توجه أربعتهم إلى المائدة المفتوحة لاختيار طعامهم قبل أن يستقروا إلى منضدة خالية . بلغ الاحتفال ذروته وتضاءل احتمال "ميشيل" الضوضاء تدريجيا . استأذنت صحبتها .

وغادرت المائدة لكن بدلا من أن تتوجه إلى الحمام استردت معطفها

وغادرت القاعة من خلال باب سري مؤد إلى الشرفة فوق السطح.

كان معروفا للجميع ... أن قاعة الاحتفال .. بها عدة أبواب تفتح على ممرات تؤدي إلى تلك الشرفة لكن الطقس كان باردا جدا .

في تلك الأمسية لسلوك أحد هذه الممرات . اجتنبت الفتاة بركة الأضواء المنبعثة من الفتحات الجدارية المغطاة واختارت أن تجلس عند الطرف الأخير للشرفة التي تطل على المدينة السابحة في الأضواء . أزعجتها ضوضاء حركة المرور . وفجاة سكنت في مكانها تماما ثم التفتت مدفوعة بإحساس داخلي لتلقي بنفسها بين ذراعيه وكانت قد أحست باقترابه . همست في أذنه وقد تنبهت جميع أحاسيسها لملامسته:

- لم أستطع احتمال البعد عنك.

- ولا أنا .

رفع "إيان" ذقنها إلى أعلى وطبع على شفتيها قبلة بدأت رقيقة وما لبثت أن بلغت قمة العنف.

دفع بهما تعطشهما كل إلى الآخر إلى دوامة من حرارة المشاعر غير المسبوقة . لم يهتما بوجود شخصية نسائية معينة على قيد بضعة أمتار منهما وذهل كثيرون لرؤية هذا المشهد الذي طالما كان مستبعدا : فردان من أسرتي "لوجان" و"ستوارت" متعانقان بهذا القدر من الحرارة . لم يفلح العقل كما لم تفلح - كافة الاحتياطات التي في العالم - في أن تمنعهما .

همس لها أخيرا قوله :

- "ميشيل". افتقدتك جدا !

لم يستطع التراجع عن وجهها الجميل ... الذي كاد أن يتجاوز حدود الواقع بفتنته ليكون في عداد الأحلام التي تتراءى للمشتاق . التصقت به وقد ارتسمت على وجهها ابتسامات السعادة وهي تقول :

- كان الفراق صعبا علي أيضا . كان من الحماقة أن آتي إلى هذا الحفل اليوم لكنني أحسست بضرورة أن أراك ولو هذه الدقائق القليلة.

www.liilas.com

قال بصوت أجش:

- لا يكفيني هذا "ميشيل" ...

أحس بجسدها يتوتر بشدة بين ذراعيه فرفع بصره من فوق كتفه فرأى شكلا بشريا طمس الظلام معالم وجهه يسير في عكس اتجاه الأضواء المنبعثة من قاعة الاحتفال متوجها نحوهما. علم "إيان" بفطنته انه لابد أن يكون "جوناثان"..

- "إيان"...

جاء صوته فاترا غير معبرعن غضب أو عن أي إحساس آخر.

كانت هذه هي المرة الأولى التي يخاطبه "جوناثان" فيها في كبرهما.

- "جوناثان"...

انتاب "إيان" إحساس غريب ... مزيج من الالفة والتفهم ومن القرب والبعد معا. تبينا- بعد ما فرقت البغضاء بينهما طوال حياتهما - أن المرأة التي يحبانها قد جمعت بينهما.

توقفت خطى شقيق "ميشيل" على قيد متر منهما.

- أنت مطلوب بقاعة الاحتفال. مكالمة هاتفية عاجلة.

وعلى الرغم مما بدا "جوناثان" عليه من الهدوء ظل "إيان" حذرا حتى أحس بان أعصاب "ميشيل" أخذت تهدأ كما لو كانت النبرة التي تحدث شقيقها بها قد بعثت فيها طمانينة فهدأ هو أيضا بدوره.

قال وهو يبتعد عنها رغما عنه.

- ساعود حالا.

وعندما مر بالقرب من "جوناثان" تردد لحظة ثم قال:

- "جوناثان" ثق انني لن امسها باذى قط.

فاجابه "جوناثان":

- من الأفضل لك أن تذهب وتتلقى مكالمتك.

وبعد ما تركهما "إيان" وقف "جوناثان" بالقرب من "ميشيل" منحنيا من فوق سور الشرفة. تساءلت الفتاة في صمت - وكانت قد استجمعت كل شجاعتها لتواجه ثورته -: ما إذا كان "جوناثان" لم يقيم إحساسه في

ضوء حبه الخالص لـ"چاكي" وفي ضوء اقتناعه المتزايد بان هناك عدوا مجهولا يبغي أن ينال من الاسرتين ؟ ومع ذلك كانت واثقة بان رؤيته إياها بصحبة "إيان" لم تكن مفاجاة له.

قال بذات النبرة المقتضبة التي حدث بها "إيان" من قبل:

- موقع جميل جدا لموعد غرامي.

ضمت "ميشيل" معطفها من حول كتفيها وهي تقول:

- لم يكن موعدا. لم يكن سابق التحديد على الإطلاق.

تحدثت بصوت في مثل هدوء صوت أخيها كما لو كان تلافيا للإخلال بذلك التوازن المتارجح في المشاعر.

قال "جوناثان":

- كنت اعلم منذ سنوات ان هذا سوف يحدث يوما ما. منذ أن كنت في الرابعة عشرة. اعترفت لي بان روايتك المفضلة هي "روميو وجوليت".

- هذا صحيح. كنت احب هذه الرواية إلى حد بعيد وإن كنت كرهت فيها تبرؤ الوالدين من ابنيهما. لا ينبغي ان نموت لاننا نحب يا"جوناثان". كما لا ينبغي المساس بالأسرة بسبب من نحب.

استطرد "جوناثان" يقول دون أن ينظر إليها:

- لدى عودتك من "المارتينيك" لاحظت عليك تغيرا، ثم فهمت أن الأمر متعلق برجل ما منذ اليوم التالي عندما عدت إلى البيت عند منتصف الليل. وعلى الرغم من رفضي الاعتقاد في أن ذلك الرجل من الممكن أن يكون "إيان" حاولت بكل قدرتك ان تثبتي لي أن آل "ستوارت" ليسوا اعداء لنا وانه ينبغي علي ان اكون صافي الفؤاد تجاههم. اتصلت هاتفيا بالفندق الذي كنت تقيمين فيه اثناء رحلتك إلى "المارتينيك" بهدف التاكد من انه لم يكن مقيما ايضا بهذا الفندق.

- متى كان ذلك؟

- منذ اسبوع.

- وابي؟ هل هو على علم بذلك؟

www.liilas.com

- لا . لانه ليس بحالة تسمح له بسماع ذلك يا "ميشيل" وربما حالته لن تسمح أبدا.

اقتربت منه :

- وانت . ما إحساسك؟

غادرت فمه ضحكة سخرية خافتة:

- لا اعلم عنه شيئا . كنت انتظر لحظة رؤيتكما معاً وكنت اتوقع أن يكون لقاؤكما كريها . لكنني لم احس بكراهية كبيرة .

وقد رأيت اسلوب نظر كل منكما للآخر.

- لقد تلافينا اللقاء حتى لا نسبب مساسا باحد . نريد ان نثبت لابي ولوالد "إيان" أن ثمة من يريد أن ينال من اسرتينا من خلال الكراهية المعروفة بينهما ، ونقنعهما بضرورة إيقاف هذا التطاحن قبل أن يسقط جرحى جدد.

صمتت "ميشيل" قليلا ثم عادت تقول بصوت هادئ:

- سوف نتزوج يا "جوناثان".

فقال شقيقها :

- لن يستطيع والدي أن يمنعك لكنه لن يتقبل الأمر .

- وانت ؟

نظر "جوناثان" إلى عينيها اخيرا:

- إنني مضطر إلى تقبل الوضع. ألا ترين ذلك ؟ لانك لم تتخذي هذا القرار دون سابق التفكير في كافة العقبات التي تواجهه والنتائج التي من شانها أن تترتب عليه . لم يبق لي على ذلك ما اضيفه . إذا كنت تحبينه بعد كل ذلك الذي سمعته منذ يوم ولادتك فهذا دليل على متانة هذا الحب .

- لم احس شيئا بهذه القوة قط...

- ولهذا السبب لا يسعني سوى الموافقة . اريد لك السعادة يا "ميشيل".

قالت بصوت مرتعد:

- يراودني ايضا خوف من أن تكرهني .

فقال "جوناثان" مبتسما:

- إنني مثلك . لا رغبة لي في أن اكون "لاموسا" . خمسة قرون من الكراهية تكفي .

أجاب "إيان" الذي انضم إليهما في هذه اللحظة:

- هذا أفضل . سنكون بحاجة إلى مساعدتكما . صديقنا الخبيث سدد ضربة جديدة .

مدت "ميشيل" يدها إليه تلقائيا:

- في موقع عملكم؟

- نعم . استهدفت جميع المصاعد باستثناء احدها . ارغمه احد افراد الحراسة على القرار . راه يختفي في بئر سلم المصعد وحدث بعد ذلك انفجار في آبار سلالم جميع المصاعد الأخرى . لم يتمكن احد من القبض عليه .

سالته "ميشيل":

- هل هناك حالات إصابة؟

- لا . لكنني اريد ان اعرف كيف تمكن من دخول العمارة؟

توجهت "ميشيل" إلى "جوناثان" تساله :

- هل انت واثق بان ابي غير متورط في هذا ؟

- واثق تماما . اقسم لي بشرفه على انه لن ينتقم.

وبعد ذلك قصت "ميشيل" على "إيان" ما كان "جوناثان" قد قاله لها عن ذلك المفتش المرتشي.

- إذا كان كثيرون على علم بذلك فسوف نتوصل إلى الحصول على معلومات مهمة . سوف اقوم بسؤال رجالي اعتبارا من صباح غد .

وقال "جوناثان":

- وانا ايضا . وسوف اسال الموردين ايضا.

قال "إيان":

- ينبغي أن اتوجه إلى الموقع . سوف يلحق والدي بي . اريد ان

www.liilas.com

اتحدث معه .

- هل تعتقد انه سوف يصغي إليك؟

فقال "إيان" مؤكدا :

- ينبغي ان يسمعني . لن اترك له خيارا.

قال "جوناثان" رغبة منه في ان يتركهما بمفردهما:

- سوف انتظرك بالداخل يا "ميشيل".

وما إن بدا يبتعد حتى ضم "إيان" الفتاة إلى صدره بدفء.

وهو يقول :

- اراه متعقلا جدا . ماذا كان وقع النبأ عليه ؟

- إنه منزعج بعض الشيء لكنه في صفنا على الأقل .

تشبثت "ميشيل" بشدة بعنق "إيان" مؤكدة بكل قواها :

- كم كنت أود أن ينتـهي كل هذا ! إنني اتوقع منه الاسوأ أريد أن أكون معك . أحبك جدا !

فهمس لها قائلا:

- وانا ايضا احبك يا حبيبتي.

ذكرتها كلمات الحب هذه بانها لم تعلن له بعد نبأ ثبوت حملها.

لكن اللحظة لم تكن مواتية لمثل هذا النبأ السعيد .

قالت رغما عن إرادتها :

- اذهب الآن . سوف اتصل بك غدا.

احتوى "إيان" وجهها بين راحتيه وقبل شفتيها عدة مرات ثم قال محذرا:

- توخي الحكمة . هذا العدو مولع باستخدام المفرقعات إلى حد مثير للانزعاج.

لاحقته "ميشيل" بنظراتها وهو يبتعد عنها مغادرا الشرفة فاحست ببرودة شديدة تجمد عظامها وبوحدة لا تحتمل .

كان قد وقف وثورة الغضب تضطرم بداخله في اكثر اركان الشرفة ظلمة حتى يمكنه أن يتابع عن قرب الحديث الدائر بينهم ليذهبوا إلى

الجحيم ! هؤلاء الحمقى! يتصالحون على الرغم من كل هذه العقبات ! ينبغي أن يقتل هذا الود في المهد .

كان هؤلاء الثلاثة من ابناء جيل الشباب قد تعاهدوا على أن يعملوا معا من الآن فصاعدا على تكثيف الجهود لوضع نهاية لذلك التوازن المتارجح بين أسرتيهما وإن كانوا يشكون في وجود مثل هذا التوازن أصلا.

بعد بضعة أيام أو ربما بضع ساعات سوف يمكنهم ، جمع أطراف اللغز وعندئذ يعرفون اسم ذلك العدو المشترك بينهما.

في غضون لحظة ينبغي أن يدفع بالفتاة إلى أسفل بعد رحيل الرجلين بعيدا. دفعة واحدة وتواجه نهايتها فتحل بذلك المشكلة جزئيا.

قاومت مع ذلك تلك الدفعة القوية التي جعلتها ترتعد ولاحقتها حتى بلغت قاعة الاحتفال . ينبغي أن يحاصر ثلاثتهم معا بحيث يظن والدا الطرفين أن اعتداء متبادلا قد وقع فيفقدان صوابهما وينبريان للتخلص كل منهما من الآخر

ألحت الفكرة على وجدانه المحموم . وفكر مثلهم في وضع نهاية لتلك الكراهية ، وكان سلاحه في هذا السبيل هو الموت .. الموت المباغت السريع . أراد للهب الانتقام أن يستأصل ما تبقى من عناصر تلك الكراهية . لم يترك له هؤلاء الشباب فرصة للاختيار ، عليه أن يتصرف قبل أن يلتهمه الدجى.

www.liilas.com

الفصل العاشر

بدأ "إيان" يحصي الخسائر: عبوات بلاستيكية ناسفة انت على كابلات جميع المصاعد المتوقفة في الطابق العاشر باستثناء مصعد واحد والتي كانت بسبيلها إلى السقوط في قاع آبارها . لاذ الجاني بالفرار بعد ما القى على أحد الجدران زجاجة مملوءة بنزينا مشتاحولها حبلا مشتعلا.

واتساقا مع تعليمات أصحاب الموقع من آل "ستوارت" لم يقم الحراس بإبلاغ الشرطة، كما انه نظرا لاتساع رقعة ذلك الموقع لم يبد أن أحدا قد سمع صوت الانفجار الذي دوى بالخارج ، كذلك لم يمكن الاستدلال على شيء يذكر بسبب الهياكل التي كان الدخان ينبعث منها بسبب تلك الحادثة .

صاح "براندون ستوارت" لدى وصوله إلى الموقع :

- هؤلاء الأوغاد !

أجابه "إيان" بهدوء:

- لا شان لآل "لوجان" بكل هذا .

- أستحلفك بالله يا "إيان"!

أدار "إيان" ظهره لوالده متوجها نحو غرفة استقبال مؤثثة جزئيا عند نهاية أحد الأروقة لأن ذلك الطابق كان قد تم العمل به . كان لايزال هناك بعض أفراد الحراسة المسؤولين عن الأمن وكذلك اثنان أو ثلاثة من كهربائي المنشاة واقفين بالقرب من منطقة المصاعد فلم يرغب "إيان" في مناقشة الموقف في حضور العديد من الآذان لأنه لم يكن ليعلم فيمن يمكنه أن يثق. جلس فوق المسند الجانبي لأحد المقاعد الكبيرة وبدأ يحل رباط عنقه في انتظار أن يلحق والده به .

بادره الوالد بقوله :

- متى تتخلى عن مبتكراتك هذه ؟

- لم أبتكر شيئا يا أبي . هناك من يشعل نار الفتنة بين أسرتينا لصالحه الخاص.

- أي صالح ذلك ؟ من ذا الذي يمكنه الاستفادة من خطة كهذه؟

- لازلت أجهله.

- تركت لك مع ذلك الفرصة للاهتداء إلى إجابة على هذا السؤال . وإليك بناء على ذلك إجابتي : لا أحد من بين منافسينا يبلغ هذا المدى سوى آل "لوجان" لأنهم أصحاب المصلحة الأولى .

- ليسوا إياهم.

-ومن أين تستمد كل هذا اليقين؟

- من أن "جوناثان" و"ميشيل لوجان" يكدحان مثلي لإثبات أن شخصا ما من خارج الأسرتين هو المتورط في هذه الأعمال.

- لا أصدقك.

- ومع ذلك أرجو أن تصغي إلي ! ليسوا إياهم . توصلنا إلى اتفاق على أن هناك عدوا مشتركا لأسرتينا وأن تصرفاته ليست بدافع المنافسة .

قطب "براندون ستوارت" حاجبيه.

www.liilas.com

- توصلتم إلى اتفاق ؟ هل تحدثت معهما؟

فقال "إيان" بصوت هادئ تماما:

- أحب "ميشيل".

- ماذا ! إنها متعبة مثل أبيها.

احتفظ "إيان" بهدوئه:

- التقينا في "المارتينيك" واتفقنا على الزواج يا أبي.

- لقد فقدت صوابك.

- لا . وسوف نتزوج.

- تتزوج فتاة من آل "لوجان" ؟ بحق الله يا "إيان" . ضاجعها إذا لم يكن هناك مفرمن ذلك لكنني افضل فتاة ساقطة من اسرتي على هذه ..

هب "إيان" واقفا .

قبض "براندون ستوارت" طويلا على نظرة ابنه الزرقاء الفاترة وهزه ما راه بعنف . قال له بنبرة أدب جم :

- اغفر لي هذه العبارة الخارجة .

وإذ اهتز هو الآخر لشدة الغضب الذي سيطر عليه توجه "إيان" إلى إحدى النوافذ حيث وقف امامها وظهره نحو والده يحاول استعادة هدوئه .

-"إيان" .. إنني آسف .

- أسف لذلك الذي قلته ام انك اسف لانك تكره فتاة لا تعرف عنها شيئا؟

لزم "براندون ستوارت" الصمت .

- أريدك يا ابي أن تفهم شيئا "ميشيل" وانا نبذل ما بوسعنا لإنهاء هذه الحرب الحمقاء . ونعيش هنا معا في سلام. رجائي أن تقبل . لكن يكفيني في هذه اللحظة ان أخبرك باني لا ابالي برد فعلك هذا. "ميشيل" هي كل ما يهمني في الحياة ، وليذهب جميع ما عداها إلى الجحيم .

- بما فيه أنا ؟

- إذا اقتضى الأمر ذلك . ابي لا أريد أن اقتتل معك على هذا

الموضوع. ولا اقبل منك مزيدا مما يمس "ميشيل" . لك أن تقبل او أن ترفض.

بلغ التوتر بين الرجلين ذروته ، وبعد هذه المواجهة مع نجله التي التقت نظراتهما خلالها طويلا قال "براندون ستوارت" معلقا:

- لابد أن تكون امراة متميزة .

واجابه "إيان" الذي أحس بالارتياح أن اللحظة الحرجة قد مرت بسلام ، وأن والده قد تراجع عن رايه :

- بكل المقاييس .

سأله والده :

- وهل "شارل لوجان" وابنه على علم بالموضوع ؟

- "جوناثان" يعلمه . ويشاركنا آراءنا وإن كان ذلك يكلفه الكثير. أما والده فلا يعلم بعد .

- لن يسعده ذلك في رأيي.

- اعلم وهذا ما يدفعنا إلى محاولة التعرف على الجاني في أقرب وقت ممكن.

- ومن يكون ...؟

لم يجب "إيان" على الفور.

- كما سبق أن قلت : إنه يحاول تحريك أسرتينا كلا ضد الأخرى ونحن متفقون تماما بان افعاله ليست بدافع المنافسة لكن بدافع كراهيته لكلتا الأسرتين . وحيث إن "جوناثان" و"ميشيل" وانا لا نعرف عدوا على هذا القدر من الحقد فلا يبقى سوى "شارل لوجان" وأنت .

من المؤكد أن لكما عدوا مشتركا بينكما. شخص لديه مبرر لأن يحقد عليكما بعنف مع استعداده التام للتضحية بالكثير من الوقت والمال والجهد في سبيل القضاء على اسرتينا متخفيا وراء الكراهية والمنافسة المعروفة عنهما.

أولاه "براندون ستوارت" كل عنايته:

- لا علم لي بمثل هذا العدو . كنت عنيفا في عملي في بعض الأحيان

www.liilas.com

لكن ليس إلى الحد الذي يسبب هذا النوع من الكراهية انه ربما قد استخدمني كسلاح ليضرب به "لوجان"..

- ربما . لكنني اعتقد قبل كل شيء انه يستهدفنا جميعا . علما بانه قاتل . ولا يعلم سوى الله بما يمكن أن يحدث .

- على اية حال إنه يهوى نسف المصاعد..

كاد "إيان" أن ينفجر إحباطا . قال :

- تحت يدنا الآن أثر ما . شخص حصل على قنبلة زمنية مطابقة لتلك المستخدمة في العملية الأولى وسعى إلى شراء صمت بائعها . ونحن الآن في انتظار تلقي أوصافه.

- أراك قلقا للغاية .

- أنا كذلك بالتأكيد . واضح أن هذا الوغد يعرفنا جميعا . يعرف أن "ميشيل" باحثة وأنها سوف تعثر عليه عاجلا كان أم آجلا . يتعين عليه الآن مراجعة حساباته بسبب عدم تقدم خطته منذ أن حاول أن يحرض إحدى الأسرتين على الأخرى ولم تحرك أفعاله ساكنا.

قال "براندون ستوارت" متمتما :

- وهو تصرف لا يتسق معنا.

- بكل المقاييس. وهذا يهدد بإثارة أعصابه خاصة إذا ما ظن أننا نحاول تعقبه . وأخشى من أن يستهدف ضحية بشرية في الضربة القادمة بدلا من عمارة ...

أخذت "ميشيل" تذرع أرضية حجرتها طولا وعرضا وقد انتابتها عصبية وإحساس شديد بالبرد رغم "البلوفر الموهير" الثقيل وردي اللون الذي ارتدته مع بنطلون من الجينز. من بين حشد الأفكار التي كانت تدور بذهنها برزت أكثرها إزعاجا هي أن يجازف عدونا بمهاجمة واحد منهم على نحو مباشر .

قبل منتصف الليل بقليل أطل "جوناثان" برأسه من باب حجرتها الذي لم يكن مغلقا تماما وقال :

- يطلبونك هاتفيا .

- "إيان"؟

- لا . قال : إن اسمه "ستيف".

- آه . إنه مراسلي بالساحل الغربي .

وأسرعت من خلفه إلى الرواق كي تتلقى المكالمة .

- "ستيف"؟

- نعم. آسف لإزعاجك في مثل هذه الساعة المتأخرة يا "ميشيل".

- لا بأس . لم أكن نائمة بعد .

- اسمعيني. تلقيت الآن رسالة مختصرة غاية في الغرابة يفترض أنها مرسلة من ذلك البائع الذي أبحث عنه : لكنني واثق بأنها ليست منه .

- ماذا يقول فيها ؟

- هل معك قلم ؟ من الأفضل أن تدونيها .

- قالت الفتاة - وهي تمسك بقلم وإضمامة ورق فوق منضدة حجرة المدخل -

- يمكنك أن تبدأ .

- هذا ما تقوله الرسالة .

"إنه إعلان. ينبغي لها أن تعلم على الفور . نعم علمها به أمر ضروري . ينبغي أن تعلم أن الأحد حافل بالمخاطر . ستعرفين أنني قد كذبت عليك. وتتعذر حقيقة واحدة عن البوح بها . ليس المشتري شخصا غير معروف . تم له شراء ثلاث قنابل لا واحدة فقط . ربما يمكنهم وحدهم إيقافه ولقاؤنا في الأسبوع القادم".

قرأت "ميشيل" الرسالة ثانية وقد قطبت جبينها في تركيزها عليها :

- هذه كل الرسالة ؟

- نعم . مدونة بالأحرف الكبيرة فوق قطعة ورق بيضاء وموقع عليها بالأحرف الأولى باسم البائع "ميشيل" . إنني لم أذكر لذلك الرجل قط سبب استفساري عن تلك الآلة . كما لم أذكر قط فتاة أو امرأة . لكن واضح أن الرسالة موجهة إليك.

www.liilas.com

قدمت "ميشيل" الإضمامة التي حررت عليها الرسالة إلى شقيقها ثم سالت "ستيف":

- كيف تسلمت هذه الرسالة؟

- سمعت رنين ناقوس باب شقتي لكن عندما فتحته لم يكن هناك احد وكانت قطعة الورق مطوية فوق حصيرة الباب . وحيث إن الرسالة تؤكد أن يوم الأحد سيكون خطيرا رأيت أنه من الأفضل أن أحذرك على الفور.

قالت "ميشيل" - وقد شغل ذهنها بالقنابل الثلاث التي تحددها الرسالة والتي استخدمت منها اثنتان بالفعل- :

- حسنا فعلت . اشكرك يا "ستيف" وإلى لقاء.

- إلى اللقاء . ارجو أن تحيطيني علما بما يستجد.

نظرت "ميشيل" إلى شقيقها الذي كان يطالع الرسالة وقد بدا عليه الغضب :

- هل تفهم منها شيئا؟

- من الذي أرسلها ؟

- يبدو انه الرجل الذي باع القنبلة الزمنية . لكن "ستيف" يقول:

إن هذه الرسالة غير متسقة معه .

تمتم "جوناثان" قائلا:

- إنها غريبة حقا. هي ؟ هل يعلم أنك وراء هذا الاستقصاء؟

- حسبما قال "ستيف" : لا .

وإذ استبد القلق بـ"ميشيل" إلى حد أصابها بمثل الغثيان رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم "إيان" . تركت الهاتف يدق بضع مرات قبل أن تعيد السماعة إلى موضعها . حاولت بعد ذلك الاتصال بمكتبه دون جدوى ... من المؤكد انه لايزال بموقع العمل . كان "جوناثان" في تلك الأثناء يحرر نسخة من الرسالة وما إن انتهى من ذلك حتى ناول أصلها إلى "ميشيل" بعد أن القى نظرة على ساعة يده . ثم قال :

- منتصف الليل وبذلك يحين :السبت...

أعادت "ميشيل" قراءة الرسالة مرة أخرى.

- هذا صحيح . ومن المستحيل أن نسمح لأنفسنا بتجاهل إعلان أيا كان الهدف منه أو مصدره . ينبغي أن أرى "إيان" . قالت ذلك وقد اتجه تفكيرها ليس إلى مضمون الرسالة فحسب ، بل إلى حديثهما المختصر عندما كانا بالشرفة.

لم يسعها احتمال فكرة انه إذا حدث شيء ما - لاقدر الله- لأي منهما فإنه لن يعرف أبدا بأمر طفلهما.

رفع "جوناثان" سماعة الهاتف كي يستدعي سيارة أجرة . قال بصوت يشوبه الانفعال :

- لا أريدك أن تقودي سيارتك . طالما تمكن ذلك الوغد من نسف المصاعد يمكنه تخريب سيارتك . لاتستخدميها قبل أن اتحقق لك من سلامتها وعندما تذهبين إلى "إيان" استخدمي الدرج في الصعود .

ثم تردد قليلا واستطرد قائلا:

- لا تقلقي إذا ما لم تعودي الليلة سوف اختلق لوالدي رواية صباح غد.

شبت "ميشيل" فوق أطراف أصابعها حتى تقبل شقيقها مؤكدة له:

- أوقف كل هذه الأكاذيب.

- سوف أروي لوالدي عن التخريب الذي حدث في موقع عمل ال"ستوارت" . وحيث إننا لم نتوصل بعد إلى اي شيء فلا اقل من أن يفكر هو في عدو محتمل . وسوف اتحين الفرصة لأطلعه على كل ما نعلمه . وربما يمكنني بذلك أن اقنعه.

- لم يبق لنا سوى وقت محدود جدا...

- أعلم .

تساءلت "ميشيل" في صمت . وللمرة الأولى وهي تستقل سيارة الأجرة:

ما إذا كان من الممكن مراقبة ذلك الجاني؟ أصبح الإحساس الشديد بأن يدا خفية تعبث بهم غير محتمل. ومع ذلك لم يكن من الواجب أن

www.liilas.com

تستسلم لفكرة الإحساس بالاضطهاد هذه .

سألت الحارس المسؤول عن حراسة العمارة التي يقطنها "إيان":

- السيد "ستوارت" . هل هو موجود؟

- لا . لكنه أمرني بالسماح لك بالدخول تحت أي ظرف كان . ألقت "ميشيل" بنظرة سريعة على المصعد توجهت بعدها نحو الدرج وبعد لحظة تردد بدأت تصعد الدرج دون أن يلاحظ الحارس ما فعلت.

لحسن الحظ أن "إيان" كان يقطن بالطابق الرابع فلم تجد الفتاة صعوبة كبيرة في بلوغ شقته دون عناء . لكن ما إن أغلقت الباب من خلفها حتى انتابتها نوبة أسى جديدة . وبدأت ترتعد بشدة ... من الممكن أن تكون الأبواب هنا ملغمة أيضا.

كادت - ومنذ زيارتها الأولى ... لشقة "إيان" - ألا تكون قد لاحظت ما بها، لهذا فكرت في أن تأخذ فكرة عنها من قبيل تهدئة أعصابها على الأقل.

وما راته فيها بعث بداخلها طمأنينة متدرجة : روابط وأذواقا مشتركة وأمورا أخرى متطابقة . رأت فوق رفوف مكتبته الكتب المفضلة لديها وفي خزانة شرائط التسجيل المقطوعات الموسيقية التي تغلب لبها وفوق جدران شقته اللوحات الفنية التي تعشقها . أما عن طراز الأثاث وذوقه فكاد أن يكون من اختيارها إياها شخصيا.

جلست بارتياح فوق الأريكة تسند رأسها فوق إحدى الوسائد وتشعر بوجود "إيان" في كل شيء حولها إلى حد غمرها بإحساس أقرب إلى السعادة.

احتواها هدوء مريح أحست معه كأن ذهنها يمرح في مياه كثيرة صافية حتى استسلمت تدريجيا لسنة نوم.

- "ميشيل" ؟

لم تكن قد سمعته يدخل لكنها استيقظت لإحساسها بنبرة صوته وأسرعت تلقي بنفسها بين ذراعيه وهي تهمس له :

- كنت قلقة جدا عليك ! اشترى ثلاث قنابل زمنية واحدة منها لم

تستخدم بعد .

- ثلاثا . أنت واثقة بذلك؟

- اتصل "ستيف" بي هاتفيا اليوم بالبيت على أثر تلقيه رسالة من بائع هذه المتفجرات .

قال لها بصوت مطمئن لأنه لم يحتمل رؤيتها على هذا الحد من التوتر حيث كانت ترتعد بين ذراعيه:

- اهدئي . أنت منزعجة جدا.

ثم جلس فوق الأريكة جاذبا إياها إلى ما فوق ركبتيه . دس أنفه في شعرها واستطرد قائلا:

- سوف نخرج من هذه الأزمة يا حبيبتي. أعدك بذلك.

على الرغم من نبرات صوته الباعثة على الطمأنينة والربت الذي حاول تهدئتها به لم تتمكن الفتاة من السيطرة على مشاعرها التي لم يكن مبعثها مشاعر التوتر العصبي والشكوك والخوف التي مزقتها فحسب بل افتراقها عن الرجل الذي أحبته أيضا . كانت بحاجة إلى أن تستقي من حبهما قوة وطمأنينة.

أسندت رأسها فوق كتف "إيان" تنعم بالدفء وهي تهمس :

- لست بحاجة إلى الراحة بل إليك.

عانقها بحرارة وكما هو الحال دائما بدأت قبلاته رقيقة وانتقدت بعنف غير مسبوق فيما بعد على أثر تلامس شفاههما .

ومثل كل مرة يجتمعان فيها اضمحلت الشكوك والمخاطر والمخاوف أمام عنف رغبتهما الجسدية تدريجيا حتى تلاشت من الوجود تماما:

همست له أن يحبها فظل يتمتم في أذنيها بكلمات الهوى الرقيقة المثيرة حتى استسلما لدوامة من المشاعر العنيفة التي احتوتهما لتحملهما إلى آفاق البهجة والمتعة.

www.liilas.com

الفصل الحادي عشر

سأل "إيان" "ميشيل":

- هل يمكنك أن تبقي ؟

طغت رغبتها في أن تبقى قريبة منه على كل اعتبار عداها ؛ لذا كانت على استعداد لأن تفعل المستحيل في سبيل قضاء الليلة معه. قالت :

- نعم . وعدني "جوناثان" بالتحدث مع والدي صباح غد . وسوف يعمل على تغطيتي إذا ما أثار تغيبي عن البيت قلق والدي.

- بدا أخوك يستحوذ على إعجابي .

- يبدو محيرا أحيانا لكنني واثقة بأنكما سوف تكونان متفاهمين .

فقال "إيان" متمتما وهو يمرر أصابعه فوق قفصها الصدري :

- إنك نحيفة جدا .

كان متكئا فوق أحد مرفقيه ، وفعل ذلك بقدر من التأمل . أمسكت "ميشيل" بيده ومررتها على جسدها حتى بطنها وقالت :

- لأنه في غضون بضعة أشهر ...

شحب وجه "إيان" وبدأ يتحسس بأصابعه بحثا عن علامات لن تظهر

قبل بضعة أسابيع .

- هل أنت واثقة ؟

- وهل هذا يكدرك ؟

دققت النظر إليه واثقة بما ستكون وراغبة مع ذلك في أن يطمئنها ... مثل جميع النساء في مثل حالتها . أضاءت تلك الطمأنينة التي كانت تنشدها عيني "إيان" بزرقة تفوق طبيعة لون عينيه وتنطق بالرقة والانبهار .

- "ميشيل" ...

طبع على شفتيها قبلة رقيقة مستأثرة كريمة محملة بالحب والحنان والاعتداد الرجولي بالذات .

طوقت "ميشيل" عنقه بذراعيها وهي تقول بنبرة دلال :

- ألم تكن واثقا بقدرتك على ذلك ؟

فضحك بحنان قائلا :

- بلى ، بلى ، لكن حيث إنك لم تحدثيني ثانية في هذا الأمر منذ بضعة أسابيع ...

- كان من الأهمية بمكان بحيث لا يليق إبلاغك به هاتفيا . وإن كنت لم أحتمل حجب هذا النبأ عنك . "إيان" إنني سعيدة جدا !

- وأنا أيضا يا حبيبتي . أحبك وأرغب في هذا الطفل أكثر منك.

وفي دفء ذراعي "إيان" . استسلمت "ميشيل" للسعادة التي غمرتهما برهة ثم تنبهت إلى ضرورة معاودة بذل كل الجهد الممكن لمواجهة وجه الحقيقة المظلم من جديد . قالت :

- ينبغي أن تقرأ هذه الرسالة . إنها تشتمل على إعلان بشأن يوم الأحد والأسبوع المقبل . النسخة التي أعددتها لك في حقيبتي.

فقال "إيان" غير راغب في الابتعاد عنها :

- سوف أبحث عنها .

وفي لحظة ابتعاده عنها حاولت مرة أخرى أن تجمع أطراف هذا اللغز المحير . هل من الممكن أن تكون جميعها أمام عينيها ولا تكون

www.liilas.com

قادرة على تجميعها على النحو الصائب ؟

سالها "إيان" لدى عودته:

- لماذا تقطبين حاجبيك ؟

- لأن كل هذا لا معنى له . مهما كان ...

ثم نظرت إلى الصينية المملوءة بالفواكه وبعض انواع الجبن وكوبين من اللبن والتي كان يحملها في يديه وقالت :

- أرى مناسبا جدا أن رجلا مجردا تماما من ملابسه يحمل إليّ العشاء في الفراش .

وضع "إيان" الصينية فوق الفراش قائلا :

- إنني جائع جدا ... ولم تتناولي شيئا عندما حضرت إلى هنا . تاكدت من ذلك . والأكثر من هذا كله انك نحيفة اكثر مما ينبغي انا واثق بان طبيبك لابد أن يكون قد نبهك إلى ذلك .

فقالت "ميشيل" كذبا قبل أن يناولها كوب اللبن :

- لم افقد إلا قدرا قليلا من وزني .

ثم قالت - وهي تاخذ الكوب من يده مجعدة انفها-:

- أوه ! لم أحب هذه الحيلة من قبل .

- لكنه مفيد لك . حاولي .

أحست بدفء عنايته بها ففتحت شهيتها للمرة الأولى منذ أيام عديدة طويلة . كادت أن تلتهم الوجبة بينما كان يقرأ الرسالة متشككا . سالته:

- هل تعتقد انها حيلة من جانب الرجل الذي نبحث عنه ؟ أم انني لست مقتفية الأثر الصحيح .

أجابها مفكرا بعمق :

- في رأيي لا . وعلى وجه العموم التفسير الأرجح هو الأفضل ومن المؤكد اننا نكون قد جانبنا الصواب إذا ظننا ان عدونا المجهول من الممكن ان يعرض نفسه للخطر بتحذيرنا . ومع ذلك لا أرى كيف يمكن أن يكون بائع تلك القنابل هو كاتب هذه الرسالة الموجهة إليك كما هو واضح من مضمونها .

قالت "ميشيل" متمتمة وهي تقضم من تفاحتها :

- هذا هو احد الأمور التي فاتتني . اكد "ستيف" لي انه لم يذكر للبائع قط انه يقوم بهذا البحث من اجل اخرين وبالتالي لم يخبره بان امراة هي المعنية بالأمر .

واصل "إيان" فحصه للرسالة . بدا يقرأ ببطء :

- المشتري ليس مجهولا . أهو مجهول للبائع ؟ أم لنا ؟ الأحد حافل بالمخاطر . موعدنا الأسبوع القادم . هم وحدهم قادرون على إيقافه.

- إنها غريبة جدا . أليست كذلك ؟

شيء آخر لم تتوصل "ميشيل" إلى تفسيره : إن العبارات لم تكن صحيحة تماما ، بل وكانت خاطئة . أحست بانها بحاجة إلى مفتاح لتفسيرها .

سالها "إيان" :

- وما رأي "جوناثان" في هذه الرسالة ؟

- رايه انه لا يمكننا أن نسمح لانفسنا بتجاهل اي إعلان مهما كان غامضا .

- إنه محق في ذلك . ينبغي علينا توخي قمة الحذر غدا . وان نتساءل: عما عسى أن يكونه لقاء الأسبوع المقبل ؟

رمقته "ميشيل" بنظرة ملؤها الشك :

- كيف يمكننا مضاعفة حذرنا ؟ كيف يمكننا حماية انفسنا من احمق يستخدم وسطاء لوضع المفرقعات لنا ؟

قال "إيان" معترفا بسلامة وجهة نظرها :

- هذا صحيح . فضلا عن تحركنا بسيارات الأجرة وتلافي ركوب المصاعد لا يمكننا عمل الكثير . ومن ناحية أخرى هناك نقطة افلتت مني لماذا المصاعد دون غيرها ... مصاعدكم ثم مصاعدنا إذا كان هدفه الوحيد هو تعطيل تقدم اعمالنا ؟

فكرت "ميشيل" طويلا حتى تهتدي إلى ما كان يرمي إليه ثم قالت :

- أمر غريب حقا ... كان يمكنه أن يسلك مائة أسلوب مختلف..

www.liilas.com

تخريب الأجهزة الكهربائية ، وأجهزة التكييف ، والسباكة ...

إن خسائرها تكون أكثر أهمية وتستغرق وقتا أطول وتتطلب مبالغ أكبر لإصلاحها .

قال "إيان" :

- ينقصنا عنصر واحد أجهل ما هو لكن مفتاحه في جزئية ما . سألت والدي: عما إذا كان لوالدك وله في يوم من الأيام عدو مشترك ؟

قطبت "ميشيل" . بدا شعاع ضوء يتعامل مع ذهنها . قالت :

- اعتقد أنه ربما نكون قد توصلنا إلى ذلك العنصر . أمر ما حدث بين والدينا قبل أن نولد . يبدو لي أنه حتى ذلك التاريخ لم تكن بينهما أية مشاعر عدائية كل للآخر . وبعده سيطرت الكراهية على كليهما .

- هل تعلمين ذلك الذي حدث ؟

- جزئيا فقط. اخبرني "جوناثان" به لكنني أعتقد أنه على غير علم تام بتلك الرواية . كنت محقا فيما اعتقدت . يبدو أن والدينا وقعا في غرام امرأة واحدة . ومع ذلك أجهل الوقائع بالضبط سوى أنها عاشت مع والدي فترة من الزمان أخبرته بعدها أنها تفضل والدك عليه وتركته من أجل والدك . ترتب على ذلك شيء ما . يقول "جوناثان" إن مواجهة قد وقعت بينهما اختفت المرأة على أثرها من حياة كليهما .

- أتعتقدين أن هذه المرأة من المحتمل أن تكون هي المحرضة على كل أعمال التخريب هذه ؟

- هم ... من الأفضل أن نتبين ما قد حدث لها . إذا كان والدانا قد هيا لها سببا للكراهية تكون الرغبة في الانتقام هي السبب في كل ذلك .

قال "إيان" :

- سوف أطلب من أبي أن يقص عليّ هذه الرواية . يخيل إليّ أنه أكثر استعدادا للكلام من والدك . ومن ناحية أخرى هو على علم بعلاقتنا .

- حقيقة ؟ وكيف كان وقع النبأ عليه ؟

ابتسم "إيان" لها مطمئنا :

- جيد على وجه العموم. ليس مبتهجا لكنه متنازل .

أحست "ميشيل" بالارتياح فأجابت ابتسامته بمثلها :

- تحقق لنا أفضل مما كنت قد تخيلته بكثير . احتمل والدك وشقيقي صدمة شديدة وإذا نجح "جوناثان" في إقناع أبي صباح غد ...

ألقى "إيان" نظرة على الساعة المنبهة الموضوعة فوق منضدة رأس الفراش وقال - قبل أن يضع صينية الطعام عند قدم الفراش ويطفئ المصباح - :

- إننا في الصباح . ينبغي أن تستريحي قليلا .

اقتربت "ميشيل" منه مداعبة ثم قالت :

- لست متعبة إلا من الطعام .

تسللت أولى أضواء الفجر من خلال الستائر نصف المفتوحة بقدر كاف لأن يرى الشرارة المدللة التي تألقت في عينيها الجميلتين .

- أنت واثقة بذلك ؟

- ربما كان اللبن ...

وضد إرادته تحركت يد "إيان" تمسح القوام الرشيق الذي بين ذراعيه بينما لامست شفتاه عنق "ميشيل" كما لو كان بفعل مغناطيس .

قال بصوت أجش :

- قلت لك من قبل إنك تكادين أن تفقديني صوابي إلى حد ينسيني نياتي الحسنة .

سألته ضاحكة :

- أية نيات حسنة ؟

- أن أتركك تستريحين قليلا على وجه المثال .

رفع رأسه وظل ينظر في عينيها البراقتين . قالت له ضاحكة :

- أعدك بأن أنام فترة طويلة .

فتحت "ميشيل" عينيها في وقت لاحق وظلت تنظر من حولها برهة قبل أن تدرك أن ذلك كان رنين الهاتف الذي أيقظها .

أصغت إلى حديث "إيان" ورأسها فوق كتفه دون أن تفهم بحق ما كان يقوله حتى أعاد السماعة إلى موضعها .

www.liilas.com

قالت هامسة :

- "أو ديب" ...

سألها :

- ماذا ؟

- أو "إليكتر" . إنها عقدة معروفة في مجال التحليل النفسي ...

رمقته بعينين يغالبهما النوم ثم اضافت :

- نعم ... لكنها تتعلق بالعلاقة بين الآباء والأبناء . وماذا يقولون عن علاقة الأشقاء بالشقيقات ؟

اجابها "إيان" باسلوب مهذب :

- ليست لدي ادنى فكرة . ولا اعلم عم تتحدثين ولا ما تعنينه بحديثك عن الأشقاء والشقيقات . ربما لانني ابن وحيد .

ادركت "ميشيل" في النهاية ما كان يعنيه :

- سابدا من حيث تركت في فكرتي : شقيقي يتصل هاتفيا بحبيبي بينما انا في فراش هذا الأخير . ولسوء الحظ انني اضعت عليه جزءا من المكالمة .

عانقها "إيان" ضاحكا وهو يقول :

- الاستيقاظ معك ليس بالأمر المحزن ! في صباح احد الأيام في "المارتينيك" فتحت عينيك وانت تقولين : عندما لا يكون لدي أزرق اخذ احمر . سالتك عما كنت تتحدثين واجبتني عن "بيكاسو" .

قطبت "ميشيل" دلالا ثم قالت :

- سالت نفسي: من اين اتيت بذلك؟ على وجه العموم تشتمل هذه الأفكار على نواة فكرة .

- كتلك الخاصة بـ"أوديب" ؟

- نعم . كان "جوناثان" إذن ؟

- نعم . ولم يفضح ظاهره اية معاناة من غيرة اخوية . قلت له : إنني سوف اسال والدي عن تلك القصة القديمة ورايه ان اسم تلك المراة سيكون كافيا للعثور عليها . ونبا غير سار : رفض والده الإصغاء إليه .

اغلق الباب في وجهه في غضون دقائق معدودة . يرى "جوناثان" انه يتعين ان يتبادل ثلاثتنا بعض الآراء . سوف يصل خلال ساعة .

القت "ميشيل" نظرة على ساعة يدها .

- الحادية عشرة ... واشعر بجوع شديد رغم وجبتنا المتاخرة !

هلا اعددنا غداء ؟

فتح باب شقة "إيان" على "ميشيل" وهي بسبيلها ان تلتهم شريحة كبيرة من الخبز المغطى بالزبد . قالت لشقيقها الذي بدت الدهشة واضحة عليه :

- إنه خطا "إيان" الذي اعاد لي شهيتي . الوجبة التي قدمها لي الليلة الماضية نشطت جهازي الهضمي وللمرة الأولى منذ اسابيع اكاد اموت جوعا . الغداء جاهز تقريبا هلا اتيت إلى المطبخ ؟

تبعها "جوناثان" إلى داخل المطبخ الفسيح المجهز باحدث المعدات . ولم يسعه ان يكبح ابتسامة مرح لرؤية "إيان" منهمكا في إعداد بعض المكرونة بالأسلوب التقليدي وكان طبق كبير من السلطة يزين المائدة المعدة لثلاثة افراد .

قال "إيان" مخاطبا إياه :

- اجلس . زجاجة المشروب فوق المائدة . تفضل بالتناول منها . وفعل "جوناثان" ذلك بينما واصلت شقيقته و"إيان" نشاطهما واشترك معهما في مناقشة حامية حول مواهب "إيان" في مجال إعداد الطعام وافتقار "ميشيل" إلى المواهب في هذا المجال . احس بوخز الغيرة إزاء تفاهمهما وحبهما .

فعلى الرغم من الأسى والقلق الذي احساه مثله تماما بسبب المخاطر التي تهددهم تركا في نفسه انطباعا بان حبهما كفيل بان يحميهما . سقطت آخر الحواجز في العلاقة بينه وبين "إيان" بحيث اضحى واجبا عليه الاعتراف بقدر من الأسى بانه على الرغم من تلك الظروف القاسية التي دامت خمسة قرون استطاعا أن يلتحما من جديد .

اقترحت شقيقته ان يشربوا نخب هذا الالتئام دون ان تدري ان

www.liilas.com

رغبتها هذه إنما هي صدى لما يدور بذهنه . قالت :

- نخب القدر !

قرع الشابان كاسيهما كلاً بالأخرى بحماس شديد ثم أخذ "جوناثان" الكلمة .

- أخذا في الاعتبار أن جميع الأحداث الأخرى قد نسبت إلى عائلتينا خطأ . أرى أنه لا يبقى هناك أمر ذو ثقل سوى رواية الثأر وإن كنت أعتبر أن الخمسة والثلاثين عاما مدة طويلة جدا !

هز "إيان" رأسه بإصرار :

- لا اتفق معك في ذلك : لاننا منذ نشأتنا على علم بالكراهية التي تحكم العلاقة بين والدينا . لذا يحق لنا أن نعتقد أن الشخص الذي عانى بسبب هذه الكراهية ليس إلا هذا العدو المشترك .

سأله "جوناثان" :

- هل تحدثت مع والدك ؟

- حتى الآن لا . لكنني سأفعل ذلك على الفور .

ترك "إيان" الشقيق وشقيقته معا وتوجه إلى حجرة الاستقبال كي يجري اتصالا هاتفيا . دهش أن والده قد رفض الحديث في هذا الموضوع رغم شدة إلحاحه عليه فلم يبق له سوى أن يحاول معرفة اسم تلك المرأة وتاريخ مغادرتها "اتلانتا" .

قال معلنا على أثر انضمامه إليهما:

- نحن على الطريق الصحيح بالتأكيد . يرفض أبي الحديث وليس لدي سوى اسم المرأة وتاريخ رحيلها .

سأله في وقت واحد :

- وماذا ؟

- إنها تدعى "هيلين جوردون" وغادرت "اتلانتا" منذ خمسة وثلاثين عاما .

- هل تعلم إلى أين ذهبت ؟

- لا . لكن والدي يقول : إنها أصلا من الساحل الغربي . أنباء مهمة.

أليست كذلك ؟

تشاور ثلاثتهم معا في هذا الشأن ثم سأل "إيان" "ميشيل" :

- هل يمكنك اقتفاء أثرها ؟

- هذا ممكن لو توفر الوقت ... رخصة القيادة، رقم التأمينات الاجتماعية ، العدد الأكبر من الناس لهم أسماء فيها هذا إن لم تكن قد غيرت اسمها أو حاولت التخفي بأسلوب أو بآخر . على أية حال ينبغي أن أستخدم جهاز الكمبيوتر الخاص بمكتبي .

قال "جوناثان" معترضا :

- المنشأة تغلق أبوابها أيام السبت .

- سوف يسمح الحارس المسؤول عن الأمن لي بالدخول، لأن هذه ليست المرة الأولى التي أذهب فيها لأعمل في عطلة نهاية الأسبوع .

وبعد تبادل الرأي مع "إيان" قال "جوناثان" :

- نذهب جميعا معا إلى هناك .

ولم تعترض "ميشيل" لأنه نظرا للخطر المحدق بهم فضلت أن يكون "إيان" و"جوناثان" بجانبها .

سألت "جوناثان" وهم في سيارة الأجرة التي تقلهم إلى مكتبها:

- أين أبي ؟

- يلعب الجولف كما هو الحال في جميع أيام السبت .

أحست الفتاة بالارتياح إزاء ذلك لأن رؤية ثلاثتهم معا إنما هي تجربة للقدر رغم قلة عدد الناس بوسط المدينة في أيام السبت .

تجربة القدر ... إن لم يخطئوا بشأن تلك الحادثة التي وقعت منذ خمسة وثلاثين عاما فإنهم الآن يحومون حول أحداث من ترتيب الأقدار تنهي صراعات كريهة طالما بعثت تلك الأحقاد القديمة . فهناك ابن وابنة ينتمي كل منهما إلى أحد هذين المعسكرين ... تنكرا للكراهية التي أملاها عليهما والداهما عندما أتيحت الفرصة أمامهما وهيأتها ظروف وجودهما بجزيرة أشبه بالفردوس بعيدة عن جحيم الصراعات .

كم من فرص أتيحت لهما منذ ذلك اللقاء ليزدهر حبهما ويثمرا وكم

www.liilas.com

من الفرص لاتزال أمامهما حتى ينتصر حبهما على كل الشكوك والأحقاد! هل كان ذلك هو القدر بحق الذي رتب لأن يلتقيا في ذلك اليوم حتى يقيما جسرا يصل العلاقات الودية بين اسرتيهما اللتين ظلتا تتناحران على مدى بضعة قرون ؟

أحست "ميشيل" - التي طالما آمنت بالعقل والمنطق - بالذهول أمام ذلك العدد من العوامل التي اجتمعت عشوائيا ثم تكاتفت لتؤدي مهمة على هذا القدر من الصعوبة والتعقيد . لم يتطلب ذلك العمل الشاق سوى خيط واحد يفلت من نسيج الكراهية حتى ينهار باكمله . لانها لو لم تلتق بـ"إيان" وتحبه إلى حد الثقة به ... ولو لم يكن "جوناثان" مستعدا على الأقل لتقبل فكرة أن يكون هناك عدو مشترك للأسرتين ... ولو لم يتوجه هذا العدو لاختيار آلة تخريب أخر صيحة سهلة التركيب والاستخدام ... ولو ... ولو لم تلتق كل هذه العوامل لكانت الحرب أكثر عنفا عن أي وقت مضى ولبلغت شدة التطاحن أعنفها .

سالها "إيان" وهو يساعدها على مغادرة سيارة الأجرة أسفل العمارة التي بها مكتبها :

- أنت بخير ؟

منتزعا إياها بذلك من عمق افكارها .

قالت :

- نعم . كنت افكر في ... تلك الروابط بين الأحداث وبعضها بعضا .

ضغط "إيان" على يدها معبرا عن تفهمه ما تعنيه ، ثم دخل ثلاثتهم المبنى. ووفقا لتوقعات "ميشيل" : سمح الحارس - الذي اعتاد أن يرى "ميشيل" تحضر للعمل في عطلات نهاية الأسبوع - لهم بالدخول . وتوجهوا جميعا برأي واحد إلى الدرج بدلا من المصعد.

كان مكتب "ميشيل" بالطابق الخامس . دخلوا الممر الرئيسي. وكان طويلا فسيحا تحف به الأبواب المغلقة على الجانبين. أخرجت "ميشيل" المفاتيح من حقيبة يدها وتوجهت إلى باب مكتبها وضعت المفتاح في قفل الباب ثم سكنت تماما . سالها "إيان" :

- ماذا حدث ؟

فقالت لاهثة :

- لا افهم . لم يكن الباب مقفلا رغم انني واثقة بانني قد ادرت المفتاح فيه لدى مغادرتي المكتب أمس. أليس هذا ما حدث يا "جوناثان" ؟

هز شقيقها راسه مؤكدا بينما تراجعت هي إلى الخلف قليلا وقالت :

- علينا ان نتوخى الحذر . فقال "جوناثان" :

- هذا صحيح . لا تفكري في الدخول قبل ان نتاكد من عدم وجود ما يهدد بالخطر .

فكرت "ميشيل" طويلا ثم قالت :

- كاميرات الأمن ... من هنا .

اصطحبتهما حتى حجرة الاستقبال المخصصة لذلك الطابق ثم توجهت إلى ما خلف مكتب موظفة الاستقبال . قال "جوناثان" :

- لم الحظ قط وجود كاميرا بمكتبك .

- لانك لم تشعر بحاجة إلى ان تعرف ذلك . لا تنس اننا إحدى شركات التامين التي توصي عملاءها باستخدام أجهزة الأمان التي نضمنها لهم . كلما زادت كفاءة تلك الأجهزة قلت الفرص التي تحملنا على دفع التعويضات. هذه العمارة زاخرة بالأجهزة لاننا اول من استخدم الأجهزة التي ثبتت لنا كفاءتها .

ضغطت على لوحة مفاتيح سرية مثبتة بقاع المكتب ففتحت لوحة على مجرى أوتوماتيكي على ثلاث شاشات تحكم صغيرة . وعند الضغط على ثان تم لها تشغيل الكاميرا الملحقة بمكتبها الخاص واضاءت شاشة التحكم المركزية .

وقف الرجلان خلفها. وبعد خطة عمل لم تسفر عن أي شيء غير عادي مسحت "ميشيل" مكتبها باستخدام الكاميرا بفضل نظام التحكم عن بعد وعندما تم لها ذلك قالت متنهدة :

- لا شيء. الطريق خال تماما .

ورغم كل ذلك تقدمها "إيان" و"جوناثان" في دخول المكتب حيث بدا

www.liilas.com

تفتيشه بدقة . بدات "ميشيل" تقول : إن ثلاثتهم شديدو التخوف عندما بادرها "إيان" بصوت مضطرب :

- "ميشيل" اخرجي من هنا .

- ماذا حدث ؟

كان بصدد البحث في الدرج الادنى بالمكتب حيث تحتفظ بالاوراق الخاصة بالمراسلات .

- قنبلة اخرى. لا يبقى على موعدها سوى خمس دقائق. اخرجي من هنا .

على الرغم من دقات قلبها المذعورة التي دوت في راسها املت الفتاة على نفسها التفكير . خمس دقائق : تعني دهرا ولا شيء في ذات الوقت. قالت بهدوء :

- ليس لدينا الوقت للاستعانة بمن يبطل عملها علينا ان نفعل ذلك بانفسنا .

انضم "جوناثان" إلى "إيان" حيث فحصا القنبلة ثم قال مؤكدا :

- إنها مطابقة لسابقتها وقد درست كل تركيباتها وتصميماتها ومواصفاتها . اعرف كيفية التعامل معها .

فقال "إيان" بنبرة تصميم :

- إذا لم تنجح في ذلك نخرج جميعا من هنا قبل موعد انفجارها بدقيقة. واجابه "جوناثان" :

- موافق .

سالته "ميشيل" :

- أين مكان المفرقعات ؟

كانت المشكلة متمثلة في انه إذا كان عدوهم قد اتى بمواد متفجرة على مثل مستوى تعقيد الآلة الزمنية فستكون المهمة شاقة إن لم تكن مستحيلة . اما إذا كانت ديناميتا او لغما فسيسهل عليهم منع انفجارها .

أخرج "إيان" أوراق المراسلات راى من تحتها سلكين احمرين رفيعين

يخرجان من الجسم المتفجر عند قاع الدرج. مد يده كي ينزعهما من اسفل لكنه قال :

- إنهما يخرجان من الجانب الآخر .

جثا "جوناثان" فوق ركبتيه ويديه وادخل راسه تحت المكتب :

- لا ارى شيئا هنا . الظلام شديد لكنني اشعر وكان شيئا ما مثبت في الزاوية قد يكون لغما ...

قالت "ميشيل" :

- حاول العثور على السلكين واتبعهما حتى اللغم .

قال "إيان" معلنا :

- ثلاث دقائق .

عبث "جوناثان" عشوائيا خلف المكتب .

- هذا واحد منهما! اين الآخر بحق السماء ؟ آه . إنه هنا !

وخرج والسلكان الرفيعان في يده وظل عداد الآلة يحسب الثواني وبعد ان ابعد "جوناثان" السلكين عن اللغم تماما قال لهما بصوت هادئ إلى حد الغرابة :

- لنخرج من هنا .

- هيا بنا .

قال "إيان" ذلك وهو يمسك بذراع "ميشيل" .

التجئوا إلى ابعد بقعة ممكنة من مكتب الفتاة وكانت بئر الدرج ووقفوا هناك ينتظرون انقضاء الثواني المتبقية . صوب "إيان" - اثناء ذلك - نظره إلى ساعته وهو يتمتم :

- اثنان ... واحد ... صفر ...

وظل السكون مخيما . وبعد خمس دقائق إضافية بدت لهم كالدهر تنهد "إيان" من الاعماق وضم "ميشيل" إلى صدره بكل قواه بينما خاطب "جوناثان" الذي وقف مستندا إلى الجدار ويداه في جيبي سترته ووجهه بالغ الشحوب . خاطب شقيقته قائلا :

- إعجابي بعملك اليوم يفوق اي وقت مضى . وربما اي وقت آت .

www.liilas.com

ضحكت الفتاة برقة ووجهها ملتصق بصدر "إيان" الذي قال بعد بضع دقائق :

- ما أريد أن أعرفه بحق كيف تمكن هذا الوغد من ضبط المؤقت؟ كيف أمكنه وضع اللغم بداخل صندوق معدني ووضعه في هذا المكان ؟ لقد تغلغل مثل بطل في العمارات التي يحرسها نظام أمني محكم. والأغرب من ذلك: كيف تسنى له أن يعرف اللحظة المناسبة ؟ لم يمكنه بالقطع أن يتكهن باننا سوف ناتي إلى هنا ولا متى ناتي ...

قالت "ميشيل" مفسرة :

- علينا أن نخمن هذا المؤقت من الممكن أن يكون متحكما فيه عن بعد . وبذلك يكفيه أن ياتي إلى هنا حيث يخفي المتفجرات ثم ينتظر - في مكان قريب من المبنى- مجيئنا او مجيئي انا .

قطب "إيان" حاجبيه :

- اتعتقدين انه يستهدفك على وجه التحديد ؟

فقالت متنهدة :

- هذا ما أخشاه وإلا يوحي ذلك بانه انتظر حتى يرانا هنا معا وإلا لا معنى لكل ذلك .

سال "جوناثان" :

- لماذا ؟

- لانه من الواضح انه يستهدف التفرقة كي يسود. ومن هذا المنطلق حاول إثارة ال "لوجان" وال "ستوارت" كلا ضد الآخر. ومن المحتمل جدا ان يكون قد تبين اننا نعمل معا فقرر إبادتنا نحن الثلاثة . لكن يبدو لي انه قد تعين عليه اولا أن يسال نفسه عن سبب عملنا معا .

فقال "إيان" متمتما :

- وفي هذه الحالة ربما يكون على علم بحقيقة علاقتي بك .

فهمس "جوناثان" قائلا :

- يا للهول !

- إذا كان الأمر كذلك فقد حصل على السلاح المناسب لتحريض ابي

على التصرف . لماذا إذن يهاجمنا ؟ يكفيه أن يعلن النبا لابي ثم يستمتع بمشاهدة ما سوف يكون .

قال "إيان" :

- لم يبق لدينا الكثير من الوقت .

قامت "ميشيل" بتشغيل الكمبيوتر وهي تقول قبل أن تبدا العمل عليه.

- حتى لو لم يكن على علم بامرنا فإن مجرد رؤية ثلاثتنا معا تكفي لأن تدفعه إلى التفكير .

لم تسهل البيانات المحدودة التي تلقتها عن "هيلين جوردون" عملية البحث فضلا عن أن عددا كبيرا من المعطيات لم تكن قد سجلت بذاكرة المعلومات. أجرت بناء على ذلك عدة اتصالات هاتفية لكن كان ينبغي عليها قبل كل ذلك أن تلجا إلى بعض الاتصالات الخاصة التي كانت قد أرستها منذ سنوات طويلة . حصلت بفضل هذه الجهات التي كانت مدينة لها بخدمة ما او تنتظر منها خدمة على بعض كودات العمل التي ما كانت لتتوصل إليها بغير هذا الطريق .

في حوالي الرابعة خرج "إيان" لشراء ماكولات ومشروبات لهم وواصلت هي العمل اثناء تناولها الطعام بينما استغرق الرجلان في مناقشة بدات هادئة ثم احتدت ... في انتظار أن تخرج المعلومات من الطابعة.

وفي حوالي السادسة قالت "ميشيل" معلنة:

- لدي تصريح بمتابعة امراة من "كاليفورنيا" مسجلة باسم "هيلين جوردون" عنوانها : "لوس انجيلوس" منذ عشر سنوات ولم يجدد التسجيل. لكن العنوان لم يتغير منذ خمسة وعشرين عاما .

سالها "جوناثان" :

- اتعتقدين انها هي ؟ لانهم كانوا قد حصلوا على عدد كبير باسم "هيلين جوردون" واضطروا إلى استبعاده .

سالها "إيان" الذي كان يقرأ بضع قوائم باسماء الدارسين المسجلين

www.liilas.com

بجامعة "اتلانتا" منذ خمسة وثلاثين عاما .

رجعت "ميشيل" إلى شاشتها تستعلمها ثم قرأت ما حصلت عليه بصوت عال . طرب "إيان" لهذه المعلومة:

- انت محقة اضطرت إلى أن تاتي إلى "لوس انجيلوس" لتواصل دراستها العليا في "اتلانتا" مسجلة في هذه الفترة. تركت الجامعة في الثلث الأخير من العام الثاني منذ خمس وثلاثين عاما دون إبداء اية أسباب .

توفرت لديهم خلال نصف الساعة التالي عناصر إضافية أكدت أنهم على الطريق الصحيح . حصلت "ميشيل" بعد ذلك على تقرير ببيان الوفيات أكد لهم أنها المرأة التي يبحثون عنها .

استندت "ميشيل" إلى الخلف فوق مقعدها وقد انتابتها قشعريرة طفيفة وهي تعلن لهما :

- توفيت "هيلين جوردون" منذ عشر سنوات في حادثة مترتبة على نسف أحد كابلات المصعد .

قال "إيان" متحيرا :

- وماذا بعد؟ هذه هي مشكلة المصاعد . لكن إذا كانت هي قد توفيت فمن الذي يستهدفنا ؟ زوج ؟ أبناء ؟

ظلت "ميشيل" تنظر إليهما محاولة التوصل ذهنيا إلى وصلة اخيرة . توجهت إلى لوحة المفاتيح تطرح سؤالا على جهازها . اتتها الإجابة واضحة في غضون دقائق معدودة ومع ذلك لم تكن على استعداد لأن تصدقها . سالها "إيان" :

- ماذا بك ؟ إنك شاحبة تماما.

فاجابته هامسة :

- "أو ديب" ... كنت أعلم ذلك وإن كنت لم أستطع في الصباح التوصل إلى الربط بين الأفكار على النحو الصحيح .

بدا على "جوناثان" ذهول شامل . فقالت "ميشيل" :

- عشق الولد أمه . وغيرته نحو والده والكارثة الكبرى إذا ما أبدت

الأم رغبة في والده . نعلم أن "هيلين جوردون" غادرت "اتلانتا" في شهر يونية منذ خمسة وثلاثين عاما وبعد ذلك بستة أشهر - خمسة وثلاثين عاما تكتمل يوم الاثنين القادم بالتحديد- ولدت طفلا ذكرا. لم تكن زوجة لأحد وربما لذلك أطلقت على وليدها اسمين كما هو واضح من شهادة ميلاده : "نيكولاس جوردون سميث" .

قال "جوناثان" - في نفسه الذي لم تفته ملاحظة -: إن تفكير "ميشيل" و"إيان" قد اتجه إلى شيء آخر .

- المشتري الغامض الذي نبحث عنه .

وقالت "ميشيل" موجهة حديثها إليه :

- بعد ستة أشهر يا "جوناثان" ولد طفلها بعد ستة أشهر من هجرها والدنا ووالد "إيان" . أعتقد أن "نيكولاس" يجهل ما اسمه الحقيقي .

فقال "جوناثان" :

- تريدين أن تقولي : إنه من الممكن أن يكون لنا أخ غير شقيق يسعى إلى تدميرنا ؟

- نعم . إما نحن ... وإما "إيان" ، في تصوري أن أحد أبوينا هو والد هذا الشاب.

سالها "إيان" :

- و"جوردون" ... هل يمكنك اقتفاء أثره ؟ فهو مجهول دائما .

بدأت "ميشيل" العمل دون قدرة على التوقف عن التفكير في ابن "هيلين جوردون" . كانت واثقة بأن دماء "لوجان" أو "ستوارت" تجري في عروقه وأنه بكراهيته المرة هذه متاهب لإبادة كلتا الأسرتين .

www.liilas.com

الفصل الثاني عشر

كانت ساعة واحدة من الزمن كافية لان تقتنع "ميشيل" تماما بانها قد فقدت كل اثر لـ"نيكولاس جوردون سميث" . فبعد ان باع منزل الأسرة على اثر وفاة والدته منذ عشرة أعوام اختفى كلية . هل من الممكن ان يكون قد غير اسمه ؟ لكن ذلك الإجراء غير قانوني في ولاية "كاليفورنيا".

قالت متنهدة وهي تدلك عضلات ظهرها المجهدة :

- لا فائدة في كل ذلك . لقد تلاشى كلية في الطبيعة .

مد "إيان" إليها يديه كي يساعدها على النهوض ، ثم قال :

- ينبغي التوقف. تبدين مرهقة جدا . ظللت بضع ساعات تعملين بلا توقف.

أصابهم رنين الهاتف بالذهول . رفعت الفتاة السماعة:

- ألو ؟

- "ميشيل" ... اخبرني "جوناثان" بانك تغامرين بالعمل بالمكتب اليوم...

كانت تلك "جاكي" وتحدثت بصوت ينم عن انها تبكي بحرارة...

- ماذا حدث يا "جاكي" ؟

- مررت بك بالبيت كي اراك منذ ساعة ووجدت والدك مستشيطا غاضبا . افرغ جميع خزانات ملابسك واخذ يصيح بان قدميك لن تطا بيته قط . شخص ما ابلغه هاتفيا بانك قد التقيت بـ"إيان" في "المارتينيك" .

كادت السماعة ان تسقط من اصابع الفتاة. التقطها "جوناثان" بينما ضمها "إيان" إلى صدره :

- حبيبتي ...

- كنت اعلم ان وقع النبا سيكو ن سيئا عليه ، لكن ليس إلى هذا الحد... كيف يمكن ان تبلغ الكراهية هذا العنف ؟ إنه والدي...

احست كانه ينبغي فتح اوردته بمشرط لاستئصال الحقد من دمه . وعلى الرغم من رغبة "إيان" الملحة في ان يبعث فيها الطمانينة - ويمحو منها المعاناة التي رسمت الأسى واضحا في عينيها - لم يسعه سوى ان يطوقها بذراعيه . اما هي فتشبثت به غير قادرة على كبح دموعها

بدات مظاهر الشرور تتراءى . طالما خشيتها وطالما هابتها وإن كانت دائما تامل خفية في ان تحدث معجزة ما تكون فيها النجاة. اعاد "جوناثان" السماعة إلى موضعها وقد شحب وجهه ثم قال مخاطبا "إيان" :

- الأفضل ان تظل معك . والدي فقد صوابه بحق . ينبغي أن يصغي إليّ هذه المرة حتى لو اضطررت ان أستخدم معه القوة .

نم صوته عن عنف مكبوح فقالت "ميشيل" له :

- كن متعقلا في التعامل معه .

اجابها شقيقها الذي كان قد بلغ الباب بالفعل :

- لا تقلقي . سوف اتصل هاتفيا بك لاحيطك علما بما حدث .

ظل "إيان" و"ميشيل" صامتين لحظة بعد رحيله.

قالت الفتاة بعدها مؤكدة بقوة :

- احبك . ولن يستطيع اي شيء مما يحدث حولنا ان يحملني على تغيير رايي .

www.liilas.com

ضمها "إيان" إلى صدره بدرجة أكبر وهو يقول مطمئنا إياها :

- وانا ايضا احبك يا حبيبتي اكثر من جميع من في العالم .

اصطحبها معه إلى بيته حيث سهر على رعايتها بكل ما أوتي من حنان . وعندما ارتعشت من برودة الجو أصر على أن تنعم بحمام ساخن ساعدها بعده على الذهاب إلى الفراش . وعلى الرغم من أن الوقت كان لايزال مبكرا قليلا لحق بها على الفور... وبين هاتين الذراعين الحانيتين وجدت في نهاية المطاف قدرا من العزاء .

- سوف تسمعني !

هكذا حدث "جوناثان" اباه بصوت عال اضطر إليه حتى تكون له اليد العليا على والده .

كان الخبر الذي همس له به هاتفيا بان ابنته اتخذت لها عشيقا في "المارتينيك" كافيا لان يذهب بصواب "شارل لوجان" وما زاد الطين بلة أن ذلك العاشق لم يكن سوى "إيان" ستوارت". كادت الصدمة التي تلقاها أن تصيبه بنوبة قلبية .

ظل يذرع مكتبه ذهابا وجيئة باسلوب تمثال الي مختل ، وقد اشتدت حدة الغضب به حتى كاد الا يلحظ وجود ابنه.

قال بصوت أبح بفعل كثرة الصياح :

- لن اقبل هذا سوف احطم هؤلاء الأوغاد حتى آخر سنت في خزائنهم. وهي ؟ كيف استطاعت أن تفعل بي هذا ؟ رغم انها تعلم. لقنتها كل ذلك بنفسي .

امسك "جوناثان" بذراعي والده وارغمه على الجلوس فوق احد المقاعد الكبيرة المريحة ثم قال مرددا بصوت مفعم بالمرارة :

- لقنتها ؟ بذلك يمكننا القول: إنك برعت في تعليمنا الحقد والكراهية وكدت أن تنجح. تلك المشاعر العدائية التي كنت احملها لـ"إيان" ظلت تنخر في عظامي مثل مرض لعين حتى ذلك اليوم الذي استجمعت شقيقتي فيه شجاعتها وارغمتني على ان اسال نفسي عن أسباب تلك الكراهية .

لاح شعاع دهشة في عيني "شارل لوجان" استطاع معه أن يحدث ابنه

- أسباب الكراهية ؟ "جوناثان" بحق الله !

- انتظر يا أبي ! لا شان لله بكل هذا . ولا لـ"إيان" ايضا . إنه انت. انت وحدك الذي شحنتني بالكراهية حتى قبل أن ابلغ سنا تمكنني من الفهم . انت الذي جعلت من اسم "ستوارت" سبة نابية.

- لانهم اعداؤنا .

- لا !

هكذا صاح "جوناثان" وهو يقبض على ذراعي المقعد الذي جلس والده عليه ويندفع نحوه بوجه غاضب كاد أن يرتطم بوجه والده. نحن نختار اعداءنا ونختار اصدقاءنا . لكننا لا نختار عائلاتنا وحيث إنك غير مقتنع بهذه الفكرة رتبت لأن تحقنني بمصل كراهيتك قبل أن أكون قادرا على تكوين رايي الشخصي. سوف اظل نادما على انني تركت الامور تجري في المسار الذي اخترته انت : على الرغم من أن "إيان" لم يقترف خطا واحدا في حقي .

- لكنه ووالده يحاولان تعطيل اعمالنا .

- لقد اعمتك الكراهية بحق يا ابي . من الذي خرب عمارتهم ؟ من الذي وضع قنبلة منذ بضع ساعات بهدف قتل "ميشيل" و"إيان" وانا معهما ؟ هل تعرفه ؟

صمت "شارل لوجان" اخيرا .

- حاولت على مدى بضعة اسابيع إقناعك بان ثمة من يستهدف آل "ستوارت" كما يستهدفنا لكنك ترفض الإصغاء إليّ. ترفض جميع حججي. لكن كل ذلك قد انتهى الآن. عليك أن تصغي إليّ جيدا . وإذا ظللت بعد انتهائي من الحديث مصمما على التبرؤ من ابنك - لانها كانت من الشجاعة بحيث احبت "إيان ستوارت" رغم كامل علمها بما قد يترتب على هذا التصرف - فسوف اقول لك على الفور : استعد للتبرؤ مني ايضا.

- ماذا ؟

- لا احتمل مزيدا من هذه الاحقاد . لقد خجلت إذ علمت بمن وراء كل هذا . وقد انتهى كل شيء ولم يبق سوى امر واحد. "إيان" وانا لن

www.liilas.com

نتطاحن أبدا...

قاطعه "شارل لوجان" بقوله:

- لكن بشرط ! إذا تعرض لك رد له ضرباته . وهذا ما سوف يصدر منه . إن الحقد في دمه وفي دمائنا أيضا ولا مفر منه لا لك ولا له. لم يقدر "جوناثان" أن يكبح تنهد ياس. لن يمكنه أبدا حمل والده على التعقل . استند إلى حافة المكتب وبدأ يخاطب والده.

- بمناسبة حديثك عن الدم لنتحدث إذن عن ذلك الأخ الأكبر غير الشقيق الذي قد أكون حاملا شيئا مشتركا معه...

توتر "شارل لوجان" وشحب وجهه تحت وطأة الصدمة :

- ما هذا الذي تقوله؟

أجاب "جوناثان" بهدوء :

- كنت واثقا بذلك وكنت على علم به. كنت تعلم أن "هيلين جوردون" كانت حاملا عندما غادرت "أتلانتا" .

تمتم "شارل لوجان" قائلا:

- حاملا من ذلك الوغد ... ليس ذلك ابني .

- ذلك الوغد ... ابني هل سألت نفسك خلال كل هذه السنوات عما عساه أن يكون قد حدث لهذا الطفل المحتمل أن يكون طفلك ؟ هل حدثت نفسك مرة واحدة بأن ذلك الحقد الذي صببته أنت و"براندون ستوارت" على تلك المرأة من المحتمل أن يرد إليكما يوما ما؟

شحب وجه "شارل لوجان" تدريجيا وأحس بجرح عميق من عتاب ابنه له.

قال معترضا في محاولة إلى أن يستعيد ذلك الغضب الذي طالما صاحب هذه الذكرى المريرة :

- أنت تجهل الظروف المحيطة بهذه القصة.

أجابه "جوناثان" بصوت فاتر:

- إنني مصغ وسوف تخبرني بالحقيقة كاملة لأنه ليس أمامنا وقت يا أبي . إذا لم نتوصل إلى وسيلة لإيقاف أعمال هذا الوغد فسوف نواجه خطر الإبادة الجماعية بفعل رجل يبدو أنه خجل تماما من أن يعرف أيكما هو أبوه.

الفصل الثالث عشر

استيقظت "ميشيل" صباح اليوم الثاني على التوالي على صوت رنين الهاتف. دوى في ذهنها صدى نشيد ما لكن لم تكن لديها القوة على التركيز بحيث تستعيد كلماته. وكما في اليوم السابق التصقت بـ"إيان" تاركة نفسها لهدهدة صوته دون أن تفهم بحق ما كان يقوله. وعندما صمت رفعت عينيها إليه فوجدته يتأملها بحنان . قال بصوت يعوزه الرنين:

- أحبك.

- وأنا أيضا.

محت الابتسامة التي رمقته بها ذكريات أحداث الليلة الماضية التي صاحبها إحساس فظيع بالفراغ القاسي والتمزق. سألته:

- مع من كنت تتحدث؟

- مع "جوناثان" بدا لي مجهدا. ظل هو ووالده يتناقشان طوال الليل.

جازفت وسألت متخوفة:

- وماذا..؟

www.liilas.com

- ووالدك هذا قليلا بشان موضوعنا. ويقول اخوك إنه صب كل غضبه على "هيلين جوردون".

قالت "ميشيل" متنهدة:

- امل ان يقبلنا ابي في النهاية.

- حاليا اصبح يعترف ان احداث الماضي تحلق من حولنا. رواها لـ "جوناثان" بالتفصيل لكن يرى هذا الاخير انه يتعين مطابقتها برواية ابي.

- اراهن على انهما مختلفان تماما...

- دون ادنى شك. سوف امر لزيارة ابي بمكتبه فهو معتاد ان يذهب إلى هناك ايام الاحاد للتخلص من الاوراق غير المرغوب في بقائها. اسعديني بان تستريحي اثناء تغيبي.

حاولت "ميشيل" ان تعترض بقولها:

- لكنني نمت حوالي إحدى عشرة ساعة.

- حبيبتي نوم ليلة واحدة لا يمحو اثار التوتر العصبي المتراكم على مدى اسابيع. اعلم انك قلقة. وانا ايضا. لكن لا يمكننا ان نفعل اي شيء بشان موضوع "نيكولاس جوردون" مادمنا لانعلم الوقائع بالضبط.

قالت معترضة:

- تقول الرسالة: إن يوم الاحد سيكون حافلا بالمخاطر.

- ساكون حذرا يا حبيبتي. وما لم نقبض عليه فستكون جميع الايام حافلة بالمخاطر. ساكون مطمئنا عليك لو انني علمت انك ستقضين وقتك في القراءة او في مشاهدة التليفزيون.

كفت الفتاة عن الجدل لانها رات ان "إيان" كان محقا. احست بالخمول رغم نومها طويلا في الليلة السابقة ورات ان قليلا من الاسترخاء سوف يفيدها ويفيد الجنين على حد سواء.

عندما تركها "إيان" في وقت لاحق بمقدار ساعتين كانت مستلقية بارتياح فوق اريكة حجرة الاستقبال تستمع إلى الموسيقى الحالمة، وعدد من الكتب في متناول يدها.

احست بعد قليل بان التوتر قد عاودها.

رقصت الكلمات التي كانت تقرؤها امام عينيها وذعرت لسماع رنين الهاتف:

- الو...

اجابها "إيان":

- ليست هذه نبرة المستريح.

- لا في الحقيقة. جزعت لسماع رنين الهاتف. مضى على انصرافك ساعة ونصف الساعة.

قال:

- يسبب والدي لي المصاعب. لم اعلم منه الكثير. يرغب في ان نلقي نظرة جديدة على الخسائر. لا تقلقي إذا تغيبت مدة اطول مما كنا نتوقع.

قالت ثانية:

- كن حذرا.

- سمعا وطاعة.

اعادت "ميشيل" السماعة إلى موضعها وظلت تنظر إلى الفضاء طويلا. شيء غير محدد يطوف بمخيلتها.. لحن ما لا تستطيع استعادة كلماته. ازعج حلمها هذا رنين من الهاتف. كان المتكلم "جوناثان" الذي بدا الإرهاق جليا في صوته رغم نبرة المرح التي تعمد ان تشوب كلماته.

قال:

- اود ان اخبرك بان ثيابك ومتعلقاتك عادت إلى خزائنها.

- "جوناثان". ماذا قلت لأبي؟

- الكثير. واقل ما يمكن قوله الآن: إنه غير سعيد. فكرة ان يكون زوج ابنته رجلا من آل "ستوارت" تشحنه بالغيظ. لكنه اضطر إلى قبول الأمر عندما علم ان عملية التبرؤ منك لن تغير من قرارك.

ثم اضاف "جوناثان" قوله بنبرة حنان:

- إنه يحبك كما تعلمين.

اجابت "ميشيل" التي احست انها مدينة لشقيقها بالكثير:

- لم تكن لي رغبة في جرحه. امل ان تكون قد اخبرته بذلك.

- نعم.

www.liilas.com

- اشكرك يا "جوناثان".

واستطرد شقيقها قائلا:

- اما فيما يتعلق بباقي الامور فهي رواية غير متماسكة . هل حصل "إيان على رواية ابيه؟

- إنه بسبيله لسؤاله عنها . هناك بموقع العمل .

- ارى ان الحق بهما هناك . ربما صدمة "براندون ستوارت" لرؤيتي تعيد له ذاكرته بشان تلك الرواية .

- كن حذرا يا "جوناثان".

عادت الفتاة إلى احلامها وخيالاتها . على الرغم من ذلك النبأ السار الذي حمله "جوناثان" إليها والذي كان من المفترض ان يشغل جل تفكيرها وجدت نفسها فريسة لذلك الإحساس الغريب شيء ما يتجول بذهنها . عنصر جوهري ذو مغزى يكاد يرفرف عند طرف لسانها. ومع ذلك لا يمكنها تحديده او التعرف عليه. بدات تتمشى في الحجرة وهي تدندن ذلك اللحن دون كلماته.

سمعت رنين الهاتف للمرة الثالثة:

- الو "ميشيل" . انا "جاكي" . انت بخير ؟

- نعم.

- ووالدك؟

- لقد هدأ. تحدث "جوناثان" معه.

- إنه هو الذي اخبرني بانك عند "إيان" . اخبرني ايضا بانك قد تلقيت إعلانا من نوع ما بشان اليوم . هل "إيان" موجود معك؟

الإعلان . إنه هو . كان "ستيف" قد وعدها بان يرسل إليها عاجلا اصل تلك الرسالة الغامضة مع رسول مخصوص يسلمها يوم الاحد. لابد ان يكون حارس مكتبها قد تسلمها الآن . شيء ما بهذه الرسالة يزعجها لذا قررت ان ترى ذلك الاصل على الفور.

- "ميشيل"..

- ماذا ؟ آه ... معذرة . لا "إيان" و"جوناثان" بموقع ال "ستوارت". "جاكي" إنني مشغولة الآن قليلا . هل يمكنني الاتصال بك فيما بعد؟

- لكن يا "ميشيل" ... ذلك الإعلان...

- سوف اتصل بك فيما بعد . إلى اللقاء يا "جاكي".

لم تستغرق من الوقت اكثر مما تطلبته كتابة رسالة عاجلة إلى "إيان" تحسبا لان يعود إلى البيت قبلها . ارتدت معطفها واخذت حقيبتها وانصرفت.

ما السبب في إصرارها على رؤية تلك الرسالة ؟ لم تدر لكن ذلك اللحن ظل ملحا على ذهنها.

كان المرور هادئا وأبدى سائق سيارة الأجرة استعدادا لان ينتظرها حتى تدخل مكتبها وتعود منه . وجدت الرسالة تنتظرها هناك فعادت مسرعة والمظروف الطويل في يدها.

- إلى اين نتوجه يا سيدتي؟

وفي انشغالها بفتح المظروف أعطته عنوان "إيان" على نحو تلقائي . اول ما استرعى انتباهها كان أن "ستيف" لم يلق بالا إلى أسلوب تحرير الرسالة . جميع حروفها بالبنط الذي تستهل به العبارات.

اما هذه فكتبت باسلوب واضح محدد كل في سطر مستقل مع ترك مسافة بين الأربعة الأسطر الأولى وما تلاها.

كانت قد كتبت الرسالة عندما املاها "ستيف" لها هاتفيا دون ان تدرك ان لها مدلولاً يختلف عما كان "ستيف" قد قراه لها. ورغم كل ذلك أحست بداهة بوجود مفتاح لهذه الرسالة يكاد ان يومض امام عينيها.

إنه إعلان.

نريد لها ان تعلم هذا.

نعم علمها به ضرورة.

ينبغي ان تعلم ان الاحد حافل بالمخاطر.

ستعرفين انني كذبت عليك.

وتنعذر حقيقة واحدة عن البوح بها .

ليس المشتري ... شخصا غير معروف.

تم له شراء ثلاث قنابل لا واحدة فقط.

ربما يمكنهم وحدهم إيقافه. لقاؤنا في الاسبوع القادم.

لم تفهم من الرسالة شيئا على مدى مدة طويلة ثم انتظم كل شيء في ذهنها . ادركت ذلك الذي شغل ذهنها وفهمت معنى لاستيقاظها

www.liilas.com

وقصيدة ما تداعب شفتيها وسبب ذلك اللحن الذي ظل حائما حولها منذ الصباح الباكر . حاك عقلها الباطن الإجابة المنشورة والتي كانت هناك منذ بادئ الأمر.

اخبرت سائق سيارة الأجرة بانها قد غيرت رايها واعطته عنوان عمارة آل "ستوارت" . لم تزل الورقة مفتوحة فوق ركبتيها ولم تر فيها الآن سوى ذلك الإعلان الخفي الذي تضمنته الرسالة لان الحرف الاول من كل من سطورها يؤلف الرسالة التالية : إنني "سولتر".

لم تجد احدا برواق العمارة الجاري تشطيبها ولا اي اثار للمشرفين على الموقع . تحيرت "ميشيل" لذلك . لم يخفض "إيان" عدد افراد الحراسة . اسرعت تخترق الرواق متجهة إلى الدرج.

لابد انهم في الطابق العاشر حيث وقعت اعمال التخريب.

تزايدت مخاوفها مع كل درجة صعدتها واستغرقت منها دهرا من الزمان.

من المستحيل ان يكون قد وصل بالفعل ولا من عند "چاكي" . او ربما هو الذي طلب منها الاتصال بي حتى يعرف مكان "إيان" و"چوناثان".

ينبغي ان احذرهما على وجه السرعة . و"چاكي" المسكينة من المؤكد ان تكون قد اعدمت . منذ شهور ترشده وتحيطه بالمعلومات دون ان تدرك ما كان يسعى إليه فضلا عن ان افتتانها به املى عليها ان تثق به وتخبره بكل ما كانت تعرفه عن ذلك التطاحن المرير. حدثته عن "إيان" وعن "ميشيل" منذ ان التقيا "بالمارتينيك" . ادركت "ميشيل" الآن لماذا غيرت "چاكي" رايها فجاة عندما كانتا على تلك الجزيرة : لانها اتصلت بـ" نيكولاس" الذي اقنعها بان صديقتها بحاجة إلى من يساندها . حتى يضمن تنفيذ خطته بنجاح. كان بحاجة إلى معلومات زودته هي بها : لهذا حرص قبل كل شيء آخر على عدم قطع العلاقة بين الفتاتين.

وصلت "ميشيل" اخيرا" إلى الطابق العاشر لاهثة ودفعت الباب. وجدتهم جميعا هناك على قيد بضعة امتار من المصاعد. "إيان" و"چوناثان" و"براندون ستوارت" . لكن قبل ان تدرك انهم ليسوا الوحيدين بهذا المكان احست قبضة من حديد تدفعها نحوهم.

مد "إيان" يديه نحوها حتى يحول دون سقوطها ثم امسك بكتفيها

بلفتة مدافعة كاد قلبها ان يتوقف إذ رات ذلك القدر من الاسى في نظراته.

قال "نيكولاس" بنبرة هادئة:

- يؤسفني ان الجميع ليسوا هنا.

صوب نحوهم مسدسا اسود اللون بيده اليمنى تداوله بمهارة خبير باستعمال الاسلحة النارية . نظر إلى "ميشيل" واشرق عليها بابتسامته الساحرة:

- الم تصطحبي والدي معك بطريق السهو؟

لم تر"ميشيل" طوال حياتها شيئا اكثر خواء من عينيه. عيناه رماديتان واخفاهما طوال الوقت من خلف عدسات لاصقة ملونة .

ساله "چوناثان" بنبرة هادئة:

- وكيف عرفت ان "شارل لوجان" هو والدك؟

اطلق "نيكولاس" ضحكة متوترة ثم اشار إلى "ميشيل" بحركة من كتفه وقال:

- كان يكفيني ان اراها . إنني اقرب شبها إليها منك . لكن لا اهمية لذلك على الإطلاق / لانني اخجل من الانتماء إلى ذلك المعسكر الذي انجبني.

ساله "براندون ستوارت" بعد ذلك:

- ولماذا تحطمنا؟

فاجابه "نيكولاس" محتفظا بهدوئه:

- لانكما حطمتما امي. كلاكما فعل ذلك عندما تبينتما انها قد حملت. القيتما بها خارجا لظنكما ان الجنين لم يكن منكما . ورفض "لوجان" ان يستعيدها بحجة مشابهة . امعن السخرية من الجنين الذي حملته قالت لي كل ذلك . ورددت على سمعي جميع الالفاظ النابية التي وصفتماها بها.

ارتجف وجه "نيكولاس" - الذي خلا من كل تعبير - لحظة ثم لاح في عينيه شعاع حقد خالص . كان انفعاله اشبه بقبر نتن ظل يضم في ظلمته وفي صمته شيئا ما مدة طويلة.

- اخبرتني كذلك انه ينبغي ان يكون لي اسمي الحقيقي بدلا من هذين

www.lilas.com

اللذين اضطرت إلى أن تبتكرهما لي. قالت لي: إن يوم انتقامنا لنفسينا لابد آت. عثرت على كتاب يروي قصة.. "لوجان و"ستوارت" قرأناه معا . واعددنا خططنا بناء عليه . ليس كل هذا سوى من قبيل العدالة الإلهية.. أن يبيدكم الحقد جميعا.

قالت "ميشيل" مؤكدة بنبرتها الرقيقة:

- ومع كل ذلك أنت من يريد إبادتنا .

فقال مقاطعا:

- بمقتضى خطئك . كان كل شيء سوف يسير على خير ما يرام لو كنت قد راعيت ما كان ينبغي . كنت اعتقد انك مدركة مهمة ذلك الحقد .

أشار برأسه تجاه "إيان".

- كان ينبغي أن تكني له مشاعر الحقد والكراهية عندما رتبت لأن يعتقد الجميع أنه هو المتسبب في إصابة أخيك .لماذا لم تمقتيه؟

أحست "ميشيل" ببرودة شديدة حتى اصطكت أسنانها ببعضها البعض..

حدثت نفسها بأن ذلك الرجل غاية في الحماقة بينما أصر هو على استجوابها مرة أخرى لكن بنبرة أكثر عداوة.

- لماذا؟

أجابته بما أمكنها من هدوء:

- لأني أحبه.

فقال ساخرا.

- ياله من خطأ أحمق ! ينبغي الآن أن تموتي معه.

تراجع إلى الوراء . حيث انتقل بمنتهى الحذر إلى موقع آخر بالقرب من محيط المنطقة الخالية الذي أحاطت الحبال به من قبيل تأمينه.

ضحك متهكما وهو يقول:

-أعددت لكم جميعا المصعد الأخير . سوف أوجهه إلى الطابق الأخير حيث يفجر اللغم الذي زرعته لكم هناك الكابل .

وبدون تردد ضغط على الزر ليستدعي المصعد الأخير.

قال "براندون ستوارت" مزمجرا:

- لن تنجو من المسؤولية.

أجابه ضاحكا:

- كيف ؟ لقد أعددت الأدلة بوضوح . سوف تشير جميع أصابع الاتهام إلى "شارل لوجان" . أما أنا فسوف أشاهده يتعذب بينما يتهمه الناس بقتل ولديه وأعدائه على حد سواء . فإذا ما اقتنعت يوما ما بأنه قد تعذب بما يكفي فسوف أقتله أيضا.

لمحت "ميشيل" نظرة تأمر بين شقيقها وبين "إيان" . وأحست بناء على ضغط على ذراعها من يد "إيان" أنه يتأهب لإبعادها عنه حتى يتمكن من الإلقاء بنفسه على "نيكولاس".

شلت حركتها تماما . ولم تنجح الضوضاء المنبعثة عن المصعد الذي وصل في أن يحول انتباه "نيكولاس" عنهم لكن الصوت المضطرب الذي خاطبهم عندما فتح الباب جعله يقفز جانبا.

سأل "شارل لوجان" متلعثما:

- ما الذي يجري هنا ؟ اتصل مجهول بي هاتفيا وطلب مني أن آتي إلى هنا بأقصى سرعة ممكنة بدعوى أن ابنتي وابني يواجهان خطرا جسيما

غادر المصعد وظل يتأمل مجموعة الأشخاص المتسمرين في أماكنهم على قيد بضعة أمتار منه عندما رأى ابنته تحتضن "إيان ستوارت" اتقدت عيناه غضبا . أدرك بعد ذلك وجود "نيكولاس" وفي اللحظة الدهرية التي التقت عيونهما فيها للمرة الأولى عرف فيها- بما لا يدع مجالا للشك - ابنه . فارتسمت مشاعر المعاناة والعذاب والندم والقبول أيضا واضحة في نظراته.

تساءلت "ميشيل" في صمت بعد ذلك: عما إذا لم يكن هذا الاكتشاف الفظيع هو ما لم يستطع "نيكولاس" احتماله؟ لو كانت له ذرة متبقية من العقل لما فاته أن يدرك أنه بعد كل سنوات الحقد هذه ... نظرة واحدة أصبحت كافية لأن يعترف والده به .

أطلق "نيكولاس" صيحة ذعر مدوية وهو يتعثر نحو الخلف رافعا يده الأخرى غير المسكة بالسلاح أمام وجهه المرتجف كما لو كان ليحول دون رؤية مشهد مروع . ربما نسي أمر الحفرة العميقة التي حفرها بمحض إرادته وربما اكتفى بأن فقد توازنه.

www.liilas.com

حاول "إيان" و"جوناثان" إنقاذه لكن بعد فوات الأوان.

تطلب الأمر ساعات وساعات من الشرح ومن الاستجواب حتى يحاط رجال الشرطة بتفاصيل ما حدث . وفي اثناء اتخاذ إجراءات إبطال مفعول القنبلة ورفع جسد "نيكولاس" من عمق بئر المصعد حيث كان قد هوى وحمله إلى المشرحة نبش الماضي الذي دفن منذ زمن بعيد ثم غربل. واضطر رجال الحراسة المكلفين بامن المبنى في حيرتهم إلى الاعتراف بانهم لم يفهموا من كل ما حدث سوى أن "براندون ستوارت" كان قد اصدر لهم تعليمات بإخلاء المكان.

ولاول مرة منذ قرن من الزمان تسبب الحقد في حادثة وفاة لكن وغني عن كل بيان كان من الواضح أن هذه الحادثة الماسوية قد وضعت نهاية ابدية لتلك الحرب .

جلست "ميشيل" بالقرب من "إيان" بقسم الشرطة - حيث ادوا الشهادة اللازمة - مطمئنة تماما . تاثرت لرؤية وجه والدها ومع ذلك لم تستطع عيناها الكف عن النظر إليه.

بينما جمعت خيوط هذه الرواية الغريبة في هذه الحجرة الهادئة رأت "ميشيل" أن عيني والدها اللتين طالما اضاءتا بالحيوية والنشاط قد فقدتا بريقهما ووجهه الصارم قد كسر وهزم . كما لو كان أمر إعادة "شارل لوجان" إلى صوابه قد تطلب سلسلة من الحوادث والكوارث ختامها هذه المأساة الدامية.

منذ خمسة وثلاثين عاما انجب طفلا لكن اسوا آثامه لم يكن رفضه الاعتراف بابوة هذا الجنين بقدر ما كانت مسؤوليته عن غرس بذور الكراهية.

انتهت الحرب وكان الثمن مروعا . حزنت "ميشيل" أن حياة "نيكولاس" كانت شقاء وشرا ولا يعلم أحد ماذا كان من الممكن أن يكون في ظل ظروف مختلفة .

ثم كانت هناك "جاكي".

قالت "ميشيل" تخاطب شقيقها بعد ما انتهى رجال الشرطة من مباشرة عملهم :

- ينبغي أن يبلغها أحد بما حدث .

فقال :

- لست واثقا بانه يمكنني ذلك .

تفهمت "ميشيل" الموقف . من بين الجميع كانت "جاكي" هي الورقة الظاهرة التي استخدمها بلا رحمة وضحى بها على مذبح الكراهية بنفسية مشبعة بروايات الكراهية والرغبة في الانتقام. سقطت في أحابيل رجل مصمم على إغوائها بهدف تحقيق هدفه المحموم .

علم "جوناثان" جيدا ما ستكون عليه مشاعرها إذا ما علمت بما أصاب "نيكولاس" كما علم اكثر من اي شخص آخر انها لن تغفر له ابدا بسبب الدور الذي لعبه في تعاسة "نيكولاس" لانه لو لم يلقن الحقد لما كانت هي قد استخدمت آلة لـ"نيكولاس" . قال مكررا:

- لا أعلم ما إذا كانت لدي القدرة على ذلك.

قالت شقيقته بنبرة حانية:

- ينبغي ذلك.

تردد قليلا ثم قال :

- سوف أصطحب أبي إلى البيت ثم اذهب إليها بعد ذلك .

فقال "براندون ستوارت" الذي كان يتابع حوارهما :

- اذهب إليها على الفور . أنا الذي سأذهب مع "شارل" لا ينبغي أن يبقى بمفرده .

قالت "ميشيل" متعجبة رغم شدة إرهاقها :

- أنت ؟

- ولم لا ؟ ينبغي أن نعيش معا في سلام . من أجل أبنائنا . واحفادنا ولنبدأ على الفور .

تنهدت الفتاة من الأعماق وفعل "إيان" و"جوناثان" ذلك ايضا بينما توجه هو إلى عدوه القديم الذي اخذ يرمقه بنظرات الأسى . قال "براندون ستوارت" عندئذ :

- إذا كنت قد جئت مستقلا مرسيدس فافضل شيء تفعله هو أن تنطلق بنا مسرعا.

نهض "شارل لوجان" متمهلا وأجابه بنبرة المتحامل :

- لا محالة . لا اقبل "ستوارت" في سيارتي قط.

www.liilas.com

فاجابه "براندون".

- يتعين أن تكون البداية من الآن .. تفضل معي لنتناول القهوة.

- سوف أدفع أنا ثمن قهوتي .

قال "شارل لوجان" ذلك وهو يتبع "ستوارت" حيث غادرا الحجرة معا تحفهما نظرات الدهشة والإعجاب من رجال الشرطة الذين سبق أن قاموا باستجوابهما طويلا .

خاتمة

تساقطت الثلوج ليلة عيد الميلاد وهو امر نادر الحدوث في عمق الجنوب فتن اهل "اتلانتا" ببضعة السنتيمترات من المسحوق الأبيض الذي كسا مدينتهم التي سوف تتوقف مظاهر الحياة فيها تقريبا.

أما عن "ميشيل" فقد رات انه من الصواب - بعد أن كانت قد التقت بـ"إيان" بتلك الجزيرة الاستوائية الغنية بالألوان الزاهية والمناظر الطبيعية الخلابة وصارعت بعد ذلك للحفاظ على حبهما على مدى أسابيع باردة مظلمة - أن تختار تلك الكنيسة الصغيرة القابعة في حضن ذلك الجزء من الريف الذي تدثر بالبياض لتشهد عقد قرانهما . كان المشهد أقرب إلى مرحلة تلاقيهما : فالمشاعر متاججة والأسى متغيب ومظلة السلام تخيم على الجميع .

وقفت أمام إحدى نوافذ شقتهما تراقب سقوط الثلج مندوفا من السحاب . اقترب "إيان" منها بهدوء من الخلف حيث طوق خصرها بذراعين حانيتين . وعندما هم بوضع غطاء الرأس فوق رأسها استبدت بها مشاعر الحب والسعادة الكاملتين . همس لها قائلا:

- أراك صامتة تماما يا حبيبتي ...

www.liilas.com

أجابته بنبرة جادة:

- كنت أفكر في لقائنا ... والدور الذي لعبه القدر ... أو الحظ أيهما الذي أراد لسيارتي أن تتعطل في ذلك اليوم؟

وقال "إيان":

- لا أدري لكن يا لسعادتي أنني قد التقيت بك!

عانقها بحرارة وهما يتأملان هذه الحادثة التي لا تنسى والتي سطرت لهما سعادة غير مسبوقة.

تمت

www.liilas.com